الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة أحمد دراية – أدرار

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية والعلوم الإسلامية
قسم العلوم الإسلامية

مواساة القرآن لعباد الله المؤمنين
– سورة آل عمران نموذجا –

مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات شهادة الماستر في: تفسير وعلوم القرآن

اعداد الطالب:
بشينة زين الدين

إشراف الدكتور:
يونس كريب

لجنة المناقشة:

	الاسم واللقب	الرتبة	الصفة
01	عبد الرحمان العربي	أستاذ محاضر أ	رئيسا
02	يونس كريب	أستاذ محاضر ب	مشرفا ومقررا
03	صفية العرابي	أستاذ محاضر ب	مناقشة

الموسم الجامعي: 1443 هـ
الموافق 2022/2021 م

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

People'sDemocraticRepublic of Algeria

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة أحمد دراية- أدرار

المكتبة المركزية

مصلحة البحث الببليوغرافي

Ministry of Higher Education and Scientific Research

University Ahmed Draia of Adrar

The central library

جامعة أحمد دراية - أدرار

شهادة الترخيص بالإيداع

انا الأستاذ(ة): شريب يونس

المشرف مذكرة الماستر الموسومة بـ : مواساة القرآن لعباد الله المؤمنين - سورة آل عمران انموذجا -

من إنجاز الطالب(ة): بشنينة نور الدين

و الطالب(ة):

كلية : العلوم الاجتماعية والانسانية والعلوم الاسلامية

القسم : العلوم الاسلامية

التخصص: تفسير وعلوم القرآن

تاريخ تقييم / مناقشة: 25 ماي 2022

أشهد ان الطلبة قد قاموا بالتعديلات والتصحيحات المطلوبة من طرف لجنة التقييم / المناقشة، وان المطابقة بين النسخة الورقية والإلكترونية استوفت جميع شروطها.

وبإمكانهم إيداع النسخ الورقية (02) والاليكترونية (PDF).

- امضاء المشرف:

ادرار في : 07 جوان 2022

مساعد رئيس القسم:

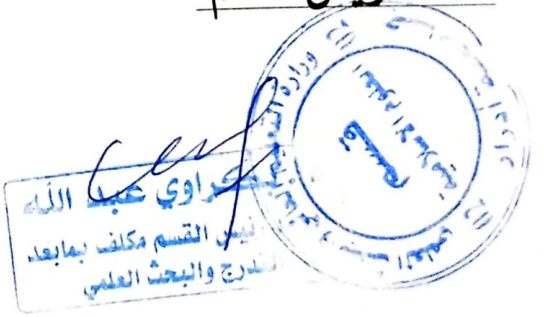

ملاحظة :لاتقبل أي شهادة بدون التوقيع والمصادقة.

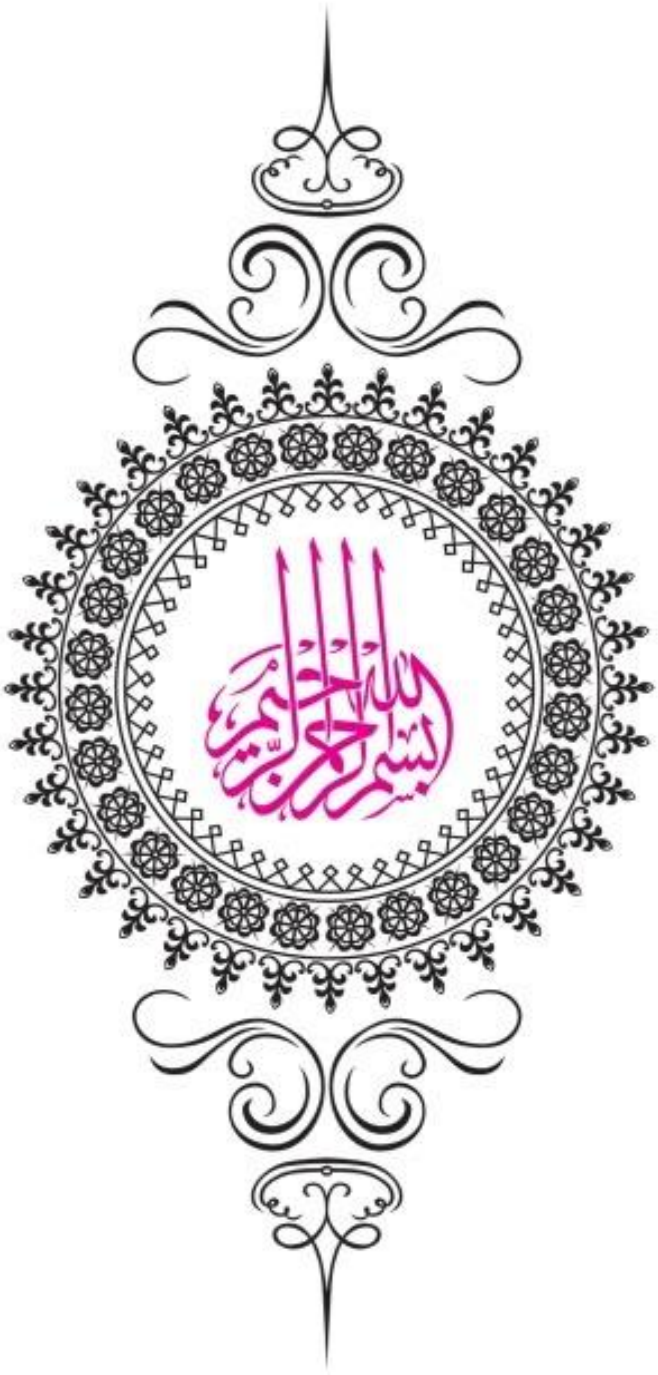
بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

أهدي هذا العمل لكل طالب علم

وباحث عن الحق

أينما كان وعلى لسان كائن من كان،

ولكل شخص يرغب في المعرفة

والتأمل في كتاب الله.

شكر وتقدير

أولا وقبل كل شيء الحمد والشكر لله الذي وفقني لإتمام مرحلة الماستر أولا ولإتمام هذا العمل ثانيا كقال تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾﴾ إبراهيم: ٧ فواجب علينا شكر الله على نعمه التي أنعم بها علينا، فالحمد لله ظاهرا وباطنا على نعمه التي لا تعد ولا تحصى، ونسأله جل وعلا أن يوفقنا لشكر نعمه قولا وعملا.

ومن باب قوله صلى الله عليه وسلم "من لم يشكر الناس لم يشكر الله"، وكما قال تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ ﴿١٤﴾﴾ لقمان: ١٤، فأقدم الشكر لأكثر شخص له الفضل عليّ أمي الغالية وأسأل الله سبحانه وتعالى أن يحفظها ويرعاها وأن يبارك لها في عمرها وصحتها. وأشكر أبي العزيز على كل ما بدله من أجلنا وأسأله الله له الحفظ والرعاية وطول العمر في الخير والبركة.

وأشكر كل أفراد عائلتي على كل ما قدموه لي من مساعدات ونصائح ودعوات أسأل الله الله لهم التوفيق والسداد، وأشكر باقي أفراد العائلة فردا فردا.

ولا أنسى أن أشكر مشرفي الأستاذ يونس كريب على مساعداته وتوجيهاته وأسال الله عز وجل أن يبارك له عمره ووقته.

وأشكر إخوتي في الله الذين تعرفت عليهم في الإقامة الجامعية وفي الجامعة وكل من ساعدني ولو بالكلمة الطيبة وأسأل الله لهم الهداية والثبات.

ومن هذا المقام أسأل الله عز وجل أن يرحم أجدادي وكل من مات من أهلي ومن له فضل علي وسائر موتى المسلمين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين.

المقدمة

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده تعالى، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد ألا إله إلا الله وحده لاشريك له وأشهد أن محمد عبده ورسوله.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ آل عمران: ١٠٢

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ النساء: ١

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ الأحزاب: ٧٠ – ٧١

أما بعد: فإن الله سبحانه وتعالى أنزل هذا القرآن رحمة للعالمين وقد أنزله الله جل وعلا على نبيه منجما مفرقا فبعض آياته نزلت لبيان أحكام الشريعة إبتداءًا وبعضها نزل لجواب سؤال سائل وبعضها نزل لتصحيح مسالة أو تفصيلها وبعضها نزل للإخبار عن الأمم السابقة وبعضها نزل مواسيا لمكروب وهكذا فكل آية من القرآن نزلت لسبب معين مهما كان السبب فلم تزل آية واحد إلا ولحكمة ولعة أرادها الله جل وعلا فلم يزل جل وعلا ولو آية واحد هكذا عبثا، ففهي البحث سنتطرق للبحث عن موضوع أو سبب نزلت من أجله وهو مواساة للصحابة رضي الله عنهم لما أصابهم في عزوة أحد وذلك من خلال سورة آل عمران، وإن كان عنوان المذكرة مواساة القرآن لعباد الله المؤمنين، إلى أننا سنتطرق إلى مواساة الصحابة فهي وإن كانت المواساة لهم عما أصابهم فهي مواساة لكل مؤمن جاء بعدهم.

الإشكالية:

ومن هنا تطرح مجموعة من الأسئلة سنحاول الإجابة عنها من خلال كتاب الله عز وجل القرآن الكريم وهي:

- ماهو مفهوم المواساة؟
- ما هي الطرق التي واسى بها القرآن الصحابة رضي الله عنهم؟

سبب اختيار الموضوع:

- الرغبة الشخصية في معرفة طرق مواساة الله جلا وعلا عباده المؤمنين أحب الله الناس إليه. فالكروبات والمصائب حاصلة ولا بد فعلى الإنسان معرفة كيف يتخلص منها ويداوي آلامه وجراحه وذلك من خلال كلام رب العالمين الذي هو شفاء ورحمة للعالمين.

أهداف البحث:

- ضبط مفهوم المواساة.
- معرفة طرق مواساة القرآن الكريم لعباد الله المؤمنين.

أهمية الموضوع:

- تكمن أهمية البحث في أهمية متعلقة وهو كتاب الله عز وجل فالعلوم تشرف بشرف متعلقها.
- فالمصائب والهموم وإن كانت حاصلة ولا بد فالمهم أن يعرف الإنسان كيف واسى القرآن الذي هو كلام الله عباد الله المؤمنين ومنه فهي مواساة الله لعباده، فالإنسان عندما يستحضر تلك الطرق يذهب همه وغمه.

أما بخصوص الدراسات السابقة فلم نتطرق لأي دراسة سابقة ولم نتمكن من الحصول على دراسات سابق للموضوع.

الصعوبات:

أما بخصوص الصعوبات فالحمد لله لم تواجهن أي صعوبات، غير صعوبة مجادة النفس التي اعتادت على الراحة والكسل.

- ❖ عدم الوقوف على دراسات سابقة بخصوص هذا الموضوع تختص بسورة آل عمران، تساعد في مجال البحث.
- ❖ وكذلك ضيق الوقت، وإلزامات الإدارة تنسيق معين لإنجاز البحث مما سبب بعض الاعاقات في تنسيق البحث كإلزامية بعدد معين من الصفحات...

المنهج المتبع:

- ❖ اتبعنا في هذا البحث المنهج الاستقرائي التحليلي الوصفي.
- ❖ بخصوص المنهج المتبع في تخريج الأحاديث فقد اكتفيت بذكر المصدر وتعليق بعض علماء الحديث المعاصرين إن كان الحديث خارج الصحيحين أما إذا كان في الصحيحين اكتفيت بذكر الكتاب والباب والرقم مع ذكر المصدر دون تعليق.
- ❖ في تهميش الآيات جعلته في المتن تجنبا الإطالة في التهميش، وتسهيلا للقارئ في معرفة الآيات حتى لا يتشتت بين المتن والتهميش، وقد اعتمدت رواية حفص عن عاصم.
- ❖ ولم أترجم للأعلام اكتفيت بذكر سنوات وفاتهم مع أسمائهم في قائمة المصادر والمراجع وذلك لضيق الوقت، تجنبا لكبر الهامش الذي يطغى على القيمة الحقيقة للبحث وكذلك يزيد في حجم البحث ونحن ملزمون بعدد معين من الصفحات.

وقد اعتمدنا في هذا البحث على مجموعة من كتب التفسير القديمة كتفسير الطبري وتفسير القرطبي والحديثة كتفسير التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور وفتح البيان في مقاصد القرآن لمحمد صديق خان والمعاصرة كتفسير السعدي وتفسير ابن العثيمين رحم الله الجميع، وبعض كتب اللغة كتب اللغة كالقاموس المحيط ولسان العرب، وغيرهم من الكتب.

خطة البحث:

خطة البحث متكونة من مقدمة وخاتمة وثلاثة فصول، فصل تمهيدي لضبط المصطلحات ويتكون من مبحثين المبحث الأول: تعريف المواساة والمؤمنين ويكون من مطلبين وكل مطلب يتكون من فرعين المطلب الأول: تعريف المواساة، وفرعيه الأول: تعريف المواساة لغة والثاني: تعريف المواساة اصطلاحا أما المطلب الثاني: تعريف المؤمنين ففرعيه هما: الفرع الأول: تعريف الإيمان لغة اصلاحا والفرع الثاني: تعريف المؤمنين، ثم يأتي المبحث الثاني: التعريف بسورة آل عمران وينقسم هذا المبحث

إلى ثلاث مطالب وكل مطلب ينقسم إلى فرعين على النحو التالي: المطلب الأول: تسميتها ووجه ذلك وفضل السورة ،الفرع الأول منه : تسميتها ووجه ذلك، والثاني: فضل السورة، والمطلب الثاني: سبب ومكان نزول السورة وموضوعها ينقسم إلى: الفرع الأول: سبب ومكان نزول السورة، الفرع الثاني: موضوع السورة أما المطلب الثالث: مناسبة السورة لما قبلها وما بعدها ففروعه هما: الفرع الأول: مناسبة السورة لما قبها، والفرع الثاني: مناسبة السورة لما بعددها.

وبخصوص الفصل الأول فهو منتظم يتكون من ثلاث مباحث وكل مبحث ينقسم إلى ثلاث مطالب كالتالي: المبحث الأول: مقارنة حال المؤمنين والكفار السابقين ومطالبه هي: المطلب الأول: ذكر حال المؤمنين السابقين (الإخبار عن مصائب المؤمنين) والمطلب الثاني: بيان تعامل السابقين مع المصائب والمطلب الثالث: الإخبار عما حصل للكفار السابقين، ثم المبحث الثاني المواساة بمقارنة حال المؤمنين والكفار ويتكون من المطلب الأول: بيان الحال الكفار والنهي عن التشبه بهم والمطلب الثاني: بيان حال المؤمنين والمطلب الثالث: مصاب المؤمنون قد أصاب الكفار وأخيرا المبحث الثالث: المواساة بمقارنة بالمآل للمؤمنين والكفار ومطالبه ثلاثة: الأول: مكاسب الكفار لا تنفع يوم القيامة ثم الثاني: التذكير بالمآل فالثالث: قتلى المؤمنين في الجنة وقتلى الكفار في النار.

والفصل الثاني كذلك يتكون من ثلاث مباحث وهي تتكون من ثلاث مباحث ماعدا المبحث الثاني كما سنوضحه، فالمبحث الأول: التذكير بالنعم ومطالبه ثلاثة وهي: الأول: التذكير بالنعم قبل المصيب ثم الثاني: التذكير بالنعم بعد المصيبة ثم المطلب الثالث والأخير من المبحث الأول: بيان سعة عفو الله ومغفرته، ثم يأتي المبحث الثاني: بيان الحكم من المصيبة ينقسم إلى أربع مطالب الأول منه: تمحيص المنافقين والثاني: الاستشهاد والمطلب الثالث: المداولة أما المطلب الرابع فهو: الابتلاء والاختبار. وأخيرا المبحث الثالث: ذكر المكتسبات وينقسم إلى ثلاث مطالب: الأول: بيان أسباب النصر والثاني: الشهداء في الجنة والثالث: مكاسب الصبر. هذه هي خطة البحث.

الفصل التمهيدي

ضبط المصطلحات

- المبحث الأول: تعريف المواساة والمؤمنين
- المبحث الثاني: التعريف بسورة آل عمران

المبحث الأول: تعريف المواساة والمؤمنين

المطلب الأول: تعريف المواساة

الفرع الأول: تعريف المواساة لغة

المواساة لغة: من: أسا أسيته تأسية، أي عزيته. وآسَيْتُهُ بمالي مواساةً، أي جعلته إسْوَتي فيه. وواسَيْتُهُ لغةٌ ضعيفةٌ فيه. والإسوة والأُسوة بالكسر والضم لغتان، وهي ما يَأْتَسي به الحزين، يتعزَّى به. وجمعها إسىً وأسىً، ثمَّ سُمِّيَ الصبرُ أسىً. وائتَسى به، أي اقتدى. يقال: لا تَأْتَسِ بمن ليس لك بأُسْوَة، أي لا تَقتَدِ بمن ليس لك بقدوة. وتأسَّى به، أي تعزَّى. وتآسَوْا، أي آسى بعضهم بعضاً.... ولي في فلان إِسْوَةٌ وأُسْوَةٌ، أي قدوةٌ وائتمام. والأسى، مفتوحٌ مقصورٌ: المداواةُ والعلاجُ، وهو الحزنُ أيضاً. والاساء، مكسور ممدود: الدواء بعينه. والإساءُ: الأَطِبَّةُ، جمع الآسي، مثل الرعاء جمع الراعى. قال الحطيئة: تَواكَلَها الأَطِبَّةُ والإساءُ. والاسوء، على فعول: دواء تأسو به الجرح. وقد أَسَوْتُ الجرحَ آسُوهُ أَسْواً، أي داويته، فهو مَأْسُوٌّ وأَسِيٌّ أيضا على فعيل. ومنه قول الشاعر: أسى على الدماغ حجيج. [1]

واسى يواسي، واسٍ، مُواساةً، فهو مُواسٍ، والمفعول مُواسًى، واسَى فلانًا: آساه، عزَّاه وسلاّه، شاطره الأسى "واسِ هذه الأُمَّ فقد فقدت ابنها الوحيد".[2] مواساة في الحزن والكَرْب.[3]

الفرع الثاني: تعريف المواساة اصطلاحا

المواساة لا يوجد لها تعريف إصلاحي مضبوط غير المعنى اللغوي، الذي يدور حول عدة معان منها التعزية، التسلية في المصيبة والكرب وكل ما يحزن، وأيضا من معانيها العلاج والدواء، وهنا يمكننا أن نربط بين المعاني أن المواساة تشمل كل ما يعالج الأحزان والكروب وغالبا ما تكون أدوية معنوية.

---

[1] إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ت: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين – بيروت، ط: 04، 1407 هـ - 1987 م، ج06، ص2269.

[2] د أحمد مختار عبد الحميد عمر، بمساعدة فريق عمل، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، ط:01، 1429 هـ - 2008 م، ج03، ص2443.

[3] المصدر نفسه، ج02، ص 1469.

ملاحظة: لفظ المواساة لم يرد في القرآن لا فعلا «واسى» ولا اسما «مُواسٍ» ولا مصدرا «مواساة».

المطلب الثاني: تعريف المؤمنين

سنقوم بتعريف الإيمان ثم من خلاله نعرف المؤمنين.

الفرع الأول: تعريف الإيمان لغة اصلاحا

01- لغة:

أمن: الأمان والأمانة بمعنى. وقد أمنت فأنا أمن، وآمنت غيري من الأمن والأمان. والأمن: ضد الخوف.. والإيمان: ضد الكفر. والإيمان: بمعنى التصديق، ضده التكذيب.[1] وفي القاموس المحيط: وآمن به إيمانا: صدقه. والإيمان: الثقة، وإظهار الخضوع، وقبول الشريعة.[2]

02- اصطلاح:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "من هذا الباب أقوال السلف وأئمة السنة في " تفسير الإيمان " فتارة يقولون: هو قول وعمل. وتارة يقولون: هو قول وعمل ونية. وتارة يقولون قول وعمل ونية واتباع السنة. وتارة يقولون: قول باللسان واعتقاد بالقلب وعمل بالجوارح وكل هذا صحيح. فإذا قالوا: قول وعمل فإنه يدخل في القول قول القلب واللسان جميعا".[3]

وأما الإيمان في الشرع: فهو كما فسره أهل السنة والجماعة: قول باللسان، واعتقاد بالقلب، وعمل بالجوارح، يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية. ...فالإيمان: قول باللسان، لا بد من النطق والاعتراف باللسان، واعتقاد بالقلب، لا بد من أن يكون ما ينطق به بلسانه معتقدا له بقلبه، وإلا

---

[1] جمال الدين ابن منظور الأنصاري، لسان العرب، دار صادر – بيروت –، ط:03، 1414هـ ، ج 13، ص21..

[2] مجد الدين محمد الفيروز آبادى، القاموس المحيط، ت: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان –، ط: 08، 1426 هـ - 2005 م، ج01، ص 1176.

[3] ابن تيمية، مجموع الفتاوي، ت: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، د ط، 1416هـ- 1995م، ج07، ص170.

كان مثل إيمان المنافقين الذين **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾ الفتح: ١١ ولا يكفي القول باللسان والاعتقاد بالقلب، بل لا بد من العمل بالجوارح أيضا.[1]

03- تعريف الإيمان في السنة:

وقد ورد في الأحاديث الصحيحة ان للإيمان أركان وشعب من خلال تعريف الرسول صلى الله عليه وسلم: كما ثبت عنه صلى الله عليه وسلم عن أبي هريرة، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الإيمان بضع وسبعون – أو بضع وستون – شعبة، فأفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان».[2] وأيضا ثبت من حديث جبريل المشهور عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه في الحديث المشهور الطويل ... قال: فأخبرني عن الإيمان، قال: «أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره».[3]

الفرع الثاني: تعريف المؤمنين

المؤمنين: جمع مفرده مؤمن، والمؤمن: هو من أمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الأخر، والقدر خيره وشره، وذلك بالنطق به بلسانه وتصديق ذلك باعتقاده ذلك في قلبه (يوافق منطوقه بلسانه اعتقاد قلبه مخالفا للمنافقين) وكذلك يجب عليه العمل بالجوارح بفعل الأوامر واجتناب النواهي.

وبتحقيه للإيمان يتحقق له الأمن الذي ضد الخوف **قَالَ تَعَالَىٰ:**﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ٨٢ ﴾ الأنعام:٨٢ فالظلم في هذه الآية معناه الشرك كما المفسرون الذي هو ضد الإيمان، ويتصف بالأمانة التي هي ضد الخيانة فهو لم يخن الله ولم يخن رسوله صلى الله عليه وسلم بل كان أمينا فحفظ الدين.

---

[1] صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان، شرح الأصول الثلاثة، مؤسسة الرسالة، ط: 01، 1427 هـ - 2006م.

[2] مسلم بن الحجاج النيسابوري، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم = صحيح مسلم، ت محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت–، د ط، كتاب الإيمان، باب شعب الإيمان، رقم 58.

[3] مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب معرفة الإيمان والإسلام والقدر وعلامة الساعة، رقم01.

المبحث الثاني: التعريف بسورة آل عمران

هي مدنية؛ لأن صدرها إلى ثلاث وثمانين آية منها نزلت في وفد نجران، وكان قدومهم في سنة تسع من الهجرة.[1] هذه السورة مدنية بإجماع. وحكى النقاش أن اسمها في التوراة طيبة.[2] وعدد آيها مائتان في عد الجمهور وعددها عند أهل العدد بالشام مائة وتسع وتسعون.[3]

المطلب الأول: تسميتها ووجه ذلك وفضل السورة

الفرع الأول: تسميتها ووجه ذلك

01- تسمية السورة:

سميت هذه السورة في كلام النبيء صلى الله عليه وسلم وكلام الصحابة: سورة آل عمران، كما هو ثابت في عدة أحاديث للنبي صلى الله عليه وسلم كما سأتي ذكر الأحاديث الثابتة في فضل السورة والمحتوية على هذه التسمية، وقيل سميت طيبة في التوراة وذكر الألوسي أنها تسمى الأمانة والمجادلة وسورة الإستغفار وعلق على هذه التمسية الطاهر بن عاشور كون تسمية طيبة لم يذكرها غير الألوسي.[4].

02- وجه تسمية السورة:

سميت سورة آل عمران بآل عمران لما ذكرت من فضل آل عمران وبعض حالهم ككرياء وابنه يحي وعيسى وامه مريم عليهم السلام أجمعين وبينت مكانتهم.[5]

---

[1] ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ت: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة، ط: 02، 1420هـ - 1999 م، ج 02، ص05.

[2] شمس الدين القرطبي، تفسير القرطبي الجامع لأحكام القرآن، ت: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، ط: 02، 1384هـ - 1964 م، ج04، ص01.

[3] الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، الدار التونسية للنشر – تونس، د ط، 1984 هـ، ج03، ص114.

[4]أنظر المصدر نفسه، ج 03، ص143.

[5] انظر شهاب الدين الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ، ت: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية – بيروت، ط 01 ، 1415 هـ، ج02، ص71.

الفرع الثاني: فضل السورة

سورة آل عمران مرتبطة ارتبطا وطيدت بسورة البقرة وقد كانت قرينتها في الفضل كما بين ذكر الشوكاني رحمه الله وقال في فضل سورة: "وقد ورد في فضلها أحاديث (يقصد سورة البقرة)، منها: ما أخرجه مسلم والترمذي وأحمد والبخاري في تاريخه، ومحمد بن نصر، عن النواس بن سمعان قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «يؤتى بالقرآن وأهله الذين كانوا يعملون به في الدنيا تقدمهم سورة البقرة وآل عمران» قال: وضرب لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة أمثال ما نسيتهن بعد قال: «كأنهما غمامتان، أو كأنهما غيايتان، أو كأنهما ظلتان سوداوان، أو كأنهما فرقان من طير صواف، تحاجان عن صاحبهما»[1] . وأخرج ابن أبي شيبة وأحمد والدارمي ومحمد بن نصر والحاكم وصححه عن بريدة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «تعلموا سورة البقرة فإن أخذها بركة وتركها حسرة ولا يستطيعها البطلة»، ثم سكت ساعة ثم قال: «تعلموا سورة البقرة وآل عمران فإنهما الزهراوان تظلان صاحبهما يوم القيامة، كأنهما غمامتان، أو غيايتان، أو فرقان من طير صواف»[2]. قال ابن كثير: وإسناده حسن على شرط مسلم...[3]

المطلب الثاني: سبب ومكان نزول السورة وموضوعها

الفرع الأول: سبب ومكان نزول السورة

01- سبب نزول السورة

صدر هذه السورة نزل بسبب وفد نجران فيما ذكر محمد بن إسحاق عن محمد ابن جعفر بن الزبير، وكانوا نصارى وفدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة في ستين راكبا، فيهم من أشرافهم أربعة عشر رجلا، في الأربعة عشر ثلاثة نفر إليهم يرجع أمرهم: العاقب أمير القوم وذو

---

[1] مسلم في صحيحه، المصدر سبق ذكره، باب فضل قراءة القرآن وسورة البقرة، رقم 805. و أحمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد، ت شعيب الأرناؤوط – عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط: 01، 1421 هـ - 2001 م، مسند حديث النواس بن سمعان الكلابي الأنصاري، رقم 17637.

[2] مسند أحمد، المصدر سبق ذكره، مسند حديث بريدة الأسلمي، رقم 22950. عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي، مسند الدارمي المعروف بـ (سنن الدارمي)، ت: حسين سليم أسد الداراني، دار المغني، المملكة العربية السعودية، ط: 01، 1412 هـ - 2000، كتاب فضائل القرآن، باب في فضل سورة البقرة وآل عمران، رقم 3434.

[3] عبد الله الشوكاني، فتح القدير، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق، بيروت، ط:01، 1414 هـ، ج 01، ص 32.

آرائهم واسمه عبد المسيح، والسيد ثمالهم وصاحب مجتمعهم واسمه الأيهم، وأبو حارثة بن علقمة أحد بكر بن وائل أسقفهم وعالمهم، فدخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم إثر صلاة العصر، عليهم ثياب الحبرات جبب وأردية فقال أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم: ما رأينا وفدا مثلهم جمالا وجلالة. وحانت صلاتهم فقاموا فصلوا في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم إلى المشرق. فقال النبي صلى الله عليه وسلم:" دعوهم". ثم أقاموا بها أياما يناظرون رسول الله صلى الله عليه وسلم في عيسى ويزعمون أنه ابن الله، إلى غير ذلك من أقوال شنيعة مضطربة، ورسول صلى الله عليه وسلم يرد عليهم بالبراهين الساطعة وهم لا يبصرون ونزل فيهم صدر هذه السورة إلى نيف وثمانين آية، إلى أن آل أمرهم إلى أن دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المباهلة، حسب ما هو مذكور في سيرة ابن إسحاق وغيره.[1]

02- مكان نزول السورة

أخرج ابن الضريس، والنحاس، والبيهقي من طرق عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنها نزلت بالمدينة.[2]

وهذه السورة نزلت بالمدينة بالاتفاق، بعد سورة البقرة، فقيل: أنها ثانية لسورة البقرة على أن البقرة أول سورة نزلت بالمدينة، وقيل: نزلت بالمدينة سورة المطففين أولا، ثم البقرة، ثم نزلت سورة آل عمران، ثم نزلت الأنفال في وقعة بدر، وهذا يقتضي: أن سورة آل عمران نزلت قبل وقعة بدر، للاتفاق على أن الأنفال نزلت في وقعة بدر، ويبعد ذلك أن سورة آل عمران اشتملت على التذكير بنصر المسلمين يوم بدر، وأن فيها ذكر يوم أحد، ويجوز أن يكون بعضها نزل متأخرا. وذكر الواحدي.[3]

الفرع الثاني: موضوع السورة

واشتملت هذه السورة، من الأغراض: على الابتداء بالتنويه بالقرآن، ومحمد صلى الله عليه وسلم، وتقسيم آيات القرآن، ومراتب الأفهام في تلقيها، والتنويه بفضيلة الإسلام وأنه لا يعدله دين،

---

[1] تفسير القرطبي، المصدر سبق ذكره، ج04، ص04.

[2] الألوسي، روح المعاني، المصدر سبق ذكره، ج02، ص71.

[3] الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، المصدر سبق ذكره، ج03، ص143-144.

وأنه لا يقبل دين عند الله، بعد ظهور الإسلام، غير الإسلام، والتنويه بالتوراة والإنجيل، والإيماء إلى أنهما أنزلا قبل القرآن، تمهيدا لهذا الدين فلا يحق للناس، أن يكفروا به، وعلى التعريف بدلائل إلاهية الله تعالى، وانفراده، وإبطال ضلالة الذين اتخذوا آلهة من دون الله: من جعلوا له شركاء، أو اتخذوا له أبناء، وتهديد المشركين بأن أمرهم إلى زوال، وألا يغرهم ما هم فيه من البذخ، وأن ما أعد للمؤمنين خير من ذلك، وتهديدهم بزوال سلطانهم، ثم الثناء على عيسى- عليه السلام- وآل بيته، وذكر معجزة ظهوره، وأنه مخلوق لله، وذكر الذين آمنوا به حقا. وإبطال إلاهية عيسى، ومن ثم أفضى إلى قضية وفد نجران ولجاجتهم، ثم محاجة أهل الكتابين في حقيقة الحنيفية وأنهم بعداء عنها، وما أخذ الله من العهد على الرسل كلهم: أن يؤمنوا بالرسول الخاتم، وأن الله جعل الكعبة أول بيت وضع للناس، وقد أعاد إليه الدين الحنيف كما ابتدأه فيه، وأوجب حجه على المؤمنين، وأظهر ضلالات اليهود، وسوء مقالتهم، وافترائهم في دينهم وكتمانهم ما أنزل إليهم. وذكر المسلمين بنعمته عليهم بدين الإسلام، وأمرهم بالاتحاد والوفاق، وذكرهم بسابق سوء حالهم في الجاهلية، وهون عليهم تظاهر معانديهم من أهل الكتاب والمشركين، وذكرهم بالحذر من كيدهم وكيد الذين أظهروا الإسلام ثم عادوا إلى الكفر فكانوا مثلا لتمييز الخبيث من الطيب، وأمرهم بالاعتزاز بأنفسهم، والصبر على تلقي الشدائد، والبلاء، وأذى العدو، ووعدهم على ذلك بالنصر والتأييد وإلقاء الرعب منهم في نفوس عدوهم، ثم ذكرهم بيوم أحد، ويوم بدر، وضرب لهم الأمثال بما حصل فيهما، ونوه، بشأن الشهداء من المسلمين، وأمر المسلمين بفضائل الأعمال: من بذل المال في مواساة الأمة، والإحسان، وفضائل الأعمال، وترك البخل، ومذمة الربا وختمت السورة بآيات التفكير في ملكوت الله.[1]

المطلب الثالث: مناسبة السورة لما قبلها وما بعدها

الفرع الأول: مناسبة السورة لما قبها

سورة البقرة بمنزلة إقامة الحجة وهذه بمنزلة إزالة الشبهة ولهذا تكرر فيها ما يتعلق بالمقصود الذي هو بيان حقيقة الكتاب من إنزال الكتاب وتصديقه للكتب قبله والهدى إلى الصراط المستقيم، وتكررت آية ﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا ﴾ البقرة: ١٣٦ بكمالها ولذلك ذكر في هذه ما هو تال لما ذكر في تلك أو لازم له، فذكر هناك خلق الناس، وذكر هنا تصويرهم في الأرحام، وذكر هناك

[1] المصدر السابق، ج03، ص144-145.

مبدأ خلق آدم، وذكر هنا مبدأ خلق أولاده وألطف من ذلك أنه افتتح البقرة بقصة آدم وخلقه من تراب ولا أم، وذكر في هذه نظيره في الخلق من غير أب وهو عيسى، ولذلك ضرب له المثل بآدم، واختصت البقرة بآدم لأنها أول السور وهو أول في الوجود وسابق، ...ولأنها خطاب لليهود الذين قالوا في مريم ما قالوا وأنكروا وجود ولد بلا أب ففوتحوا بقصة آدم لتثبت في أذهانهم فلا تأتي قصة عيسى إلا وقد ذكر عندهم ما يشهد لها من جنسها، ولأن قصة عيسى قيست على قصة آدم والمقيس عليه لا بد وأن يكون معلوما لتتم الحجة بالقياس فكانت قصة آدم- والسورة التي هي فيها- جديرة بالتقديم... مما يقوي المناسبة والتلازم بينهما أن خاتمة هذه مناسبة لفاتحة تلك لأن الأولى افتتحت بذكر المتقين وأنهم المفلحون وختمت هذه بقوله تعالى: ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٢٠٠ ﴾ آل عمران: ١٣٠ و٢٠٠ وافتتحت الأولى بقوله سبحانه: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ ﴾ البقرة: ٤ وختمت آل عمران بقوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَمَن يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِمۡ ﴾ آل عمران: ١٩٩ وقد ورد أن اليهود قالوا لما نزل ﴿ مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقۡرِضُ ٱللَّهَ ﴾ البقرة: ٢٤٥، الحديد: 11] الآية: يا محمد افتقر ربك يسأل عباده القرض فنزل ﴿ لَّقَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٞ وَنَحۡنُ أَغۡنِيَآءُ ﴾ آل عمران: ١٨١ وهذا مما يقوي التلازم أيضا.[1]

الفرع الثاني: مناسبة السورة لما بعددها

منها: أن آل عمران ختمت بالأمر بالتقوى، وافتتحت هذه السورة به ختمت آل عمران بقوله:﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٢٠٠ ﴾ آل عمران: ٢٠٠ وافتتحت بقوله: ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَ﴾ النساء: ١، وذلك من آكد وجوه المناسبات في ترتيب السور، وهو نوع من أنواع البديع يسمى: تشابه الأطراف...ومنها: أن في آل عمران ذكرت الغزوة التى بعد أُحُد بقوله: ﴿ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعۡدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلۡقَرۡحُ﴾ آل عمران: ١٧٢، وأشير إليها هنا بقوله:﴿ وَلَا تَهِنُواْ فِي ٱبۡتِغَآءِ ٱلۡقَوۡمِۖ إِن تَكُونُواْ تَأۡلَمُونَ فَإِنَّهُمۡ يَأۡلَمُونَ كَمَا تَأۡلَمُونَ﴾ النساء: ١٠٤. وبهذين الوجهين عرف أن تأخير النساء عن آل عمران أنسب من تقديمها عليها في مصحف ابن مسعود؛ لأن المذكور هنا ذيل ما في آل عمران وتابعه ولاحقه، فكانت بالتأخير أنسب. ومنها: أنه لما ذكر في آل عمران قصة خلق عيسى بلا أب، وأقيمت له الحجة بآدم، وفي ذلك تبرئة لأمه، خلافا لما زعم

[1] اللألوسي، روح المعاني، المصدر سبق ذكره، ج 02 ص71.

اليهود، وتقريرا لعبوديته، خلافا لما ادعته النصارى، وذكر في هذه السورة الرد على الفريقين معا؛ فرد على اليهود بقوله: ﴿ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَٰنًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾ ﴾ النساء: ١٥٦، وعلى النصارى بقوله: ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ النساء: ١٧١ إلى قوله: ﴿ لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ ﴾ النساء: ١٧٢. منها: أنه لما قال في آل عمران: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ آل عمران: ١٤ فصل هذه الأشياء في السورة التي بعدها على نسق ما وقعت في الآية؛ ليعلم ما أحل الله من ذلك فيقتصر عليه، وما حرم فلا يتعدى إليه؛ لميل النفس إليه. ففصل في هذه السورة أحكام النساء ومباحاتها للابتداء بها في الآية السابقة في آل عمران، ولم يحتج إلى تفصيل البنين؛ لأن الأولاد أمر لازم للإنسان لا يترك منه شيء كما يترك من النساء، فليس فيهم مباح فيحتاج إلى بيانه، ومع ذلك أشير إليهم في قوله: **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا۟ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَٰفًا خَافُوا۟ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٩﴾ ﴾ النساء: ٩.[1]

[1] جلال الدين السيوطي، أسرار ترتيب القرآن، دار الفضيلة، د ط، ص63.

الفصل الأول

المواساة بمقارنة المؤمنين بالكفار في الدنيا والآخرة

- المبحث الأول: مقارنة حال المؤمنين والكفار السابقين
- المبحث الثاني المواساة بمقارنة حال المؤمنين والكفار
- المبحث الثالث: المواساة بمقارنة بالمآل للمؤمنين والكفار

المبحث الأول: مقارنة حال المؤمنين والكفار السابقين

فالله عز وجل كثيرا ما يذكر أحوال الأمم السابقة ويبن حالهم وما جرى لهم **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ ۚ ﴿٩٩﴾﴾ طه: ٩٩، والقصص التي يذكرها الله عزوجل إنما الهدف منها الاعتبار والاقتداء ليس مجرد القص والسرد **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ۗ ﴿١١١﴾﴾ يوسف: ١١١ فإن الله عز وجل لم يذكر قصة في القرآن إلا لهدف وعبرة ولهذا قل ما نجد في القرآن الكريم ذكر تفاصيل القصة بل يذكر الموضع وما يفيد وما يدل على العبرة من القصة كأصحاب الكهف ذكر القصة ولم يذكر أسماء الفتية أن الغاية والهدف من القصة العبرة والموعظة ليست مجرد القص. ولهذا نجد القرآن الكريم يذكر قصص الأمم السابق عند الشدائد والمصائب ليواسي به الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة رضوان الله عليهم ومن بين تلك المواضع ما سنتطرق إليه هنا وهو ذكر أحوال الأمم السابقة لمواساتهم فيما حصل لهم في غزوة أحد، لما في ذلك من شحن للهمم ودفع الغم لأن الإنسان إذا عرف حال من سبقه وما جرى لأولياء الله من شدائد وكرب استصغر كربه وهان عليه ولهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول لأصحابهم «قَدْ كَانَ مَنْ قَبْلَكُم»[1] كما في صحيح البخاري وغيره والأحاديث في هذا كثير لبين لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حال من سبقهم فيهون عليهم ما أصابهم، وأيضا لبين لهم كيف كان تعاملهم وصبرهم ونتائج تجاربهم للاقتداء بهم وتجب أخطائهم ولبيان حال الكفار وعدم التشبه بهم وغير ذلك من حكم ذكر أحوال الأمم السابقة.

المطلب الأول: ذكر حال المؤمنين السابقين (الإخبار عن مصائب المؤمنين)

فالله عز وجل في سورة آل عمران بعدما حصل للمؤمنين ما حصل من مصائب وشدائد وهزيمة في غزوة أحد جاءت هذه السورة مواسيتا للنبي صلى الله عليه وسلم ولأصحابه رضوان الله عليهم أجمعين، فبين لهم أحوال من سبقهم من أهل الإيمان وما جرى لهم، فالإنسان بطبعه إذا أصابه

[1] محمد بن إسماعيل البخاري، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه= صحيح البخاري، ت محمد زهير بن ناصر، دار طوق النجاة، ط: 01، 1422هـ، كتاب فضائل أصحاب النبي، باب مناقب عمر بن الخطاب، رقم: 6943.

ما يحزنه وهو يعلم أن كل من كان مثله ممن سبقه حصل له ما حصل له فهو يصبر ويعلم أن هذه سنة الله في خلقه.

فالرسول صلى الله عليه وسلم وصحبه رضي الله عنهم أجمعين لما أصابهم ما أصابهم في غزوة أحد ذكرهم بما قد حصل للمؤمنين قبل مواساتهم لهم وتصبير لهم على ما أصابهم، فأمر الله عز وجل بالنظر والاعتبار في أحوال الأمم السابقة فقال: ﴿ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِكُمۡ سُنَنٞ فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ١٣٧ ﴾ آل عمران: ١٣٧ قال الطبري رحمه الله في تفسير هذه الآية: "يعني بقوله تعالى ذكره: " قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِكُمۡ سُنَنٞ "، مضت وسلفت منى فيمن كان قبلكم، يا معشر أصحاب محمد وأهل الإيمان به، من نحو قوم عاد وثمود وقوم هود وقوم لوط، وغيرهم من سُلاف الأمم قبلكم = " سُنَنٞ "، يعني: مثُلات سيرَ بها فيهم وفي من كذَّبوا به من أنبيائهم الذين أرسلوا إليهم، بإمهالي أهلَ التكذيب بهم، واستدراجي إياهم، حتى بلغ الكتاب فيهم أجله الذي أجَّلته لإدالة أنبيائهم وأهل الإيمان بهم عليهم، ثم أحللت بهم عقوبتي، وأنزلتُ بساحتهم نِقَمي، فتركتهم لمن بعدهم أمثالا وعبرًا =" فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ "، يقول: فسيروا – أيها الظانّون، أنّ إدالتي مَنْ أدلت من أهل الشرك يوم أحُد على محمد وأصحابه، لغير استدراج مني لمن أشرك بي، وكفرَ برسلي، وخالف أمري – في ديار الأمم الذين كانوا قبلكم، ممن كان على مثل الذي عليه هؤلاء المكذبون برسولي والجاحدون وحدانيتي، فانظروا كيف كان عاقبة تكذيبهم أنبيائي، وما الذي آل إليه غِبُّ خلافهم أمري، وإنكارهم وحدانيتي، فتعلموا عند ذلك أنّ إدالتي من أدلت من المشركين على نبيي محمد وأصحابه بأحد، إنما هي استدراج وإمهال ليبلغ الكتاب أجله الذي أجلت لهم. ثم إما أن يؤول حالهم إلى مثل ما آل إليه حال الأمم الذين سلفوا قبلهم: من تعجيل العقوبة عليهم، أو ينيبوا إلى طاعتي واتباع رسولي...عن ابن إسحاق قال: استقبل ذكر المصيبة التي نزلت بهم = يعني بالمسلمين يوم أحد = والبلاء الذي أصابهم، والتمحيص لما كان فيهم، واتخاذه الشهداء منهم، فقال تعزية لهم وتعريفًا لهم فيما صنعوا... لأبتليكم بذلك، لأعلم ما عندكم...."[1]

[1] محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، ت: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط: 01، 1420 هـ - 2000 م، ج07، ص228-229.

ثم قال تعالى في الآية التي بعدها فقال: ﴿هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٨﴾﴾ آل عمران ١٣٨

قال أبو جعفر: اختلف أهل التأويل في المعنى الذي أشير إليه بـ"هذا". فقال بعضهم: عنى بقوله "هذا"، القرآن.... وذكر قول الحسن، وقتادة، والربيع، وابن جريج. وقال آخرون: إنما أشير بقوله "هذا"، إلى قوله: " قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ "، ثم قال: هذا الذي عرَّفتكم، يا معشر أصحاب محمد، بيان للناس. وذكر قول إسحاق والشعبي. وأما قوله: " وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ "، فإنه يعني بـ"الهدى"، الدلالةَ على سبيل الحق ومنهج الدين = وبـ "الموعظة"، التذكرة للصواب والرشاد.[1]

وقال تعالى أيضا في نفس السورة في بيان حال الأمم السابقة: ﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ ﴾ آل عمران: ١٤٦ وهذه الأية فيه إشارة لما حصل للأمم السابقة إجمالا. فهي "عطف على قوله: وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ [آل عمران: 144] الآية وما بينهما اعتراض، وهو عطف العبرة على الموعظة فإن قوله: وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ موعظة لمن يهم بالانقلاب، وقوله: وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَٰتَلَ عبرة بما سلف من صبر أتباع الرسل والأنبياء عند إصابة أنبيائهم أو قتلهم، في حرب أو غيره، لمماثلة الحالين. فالكلام تعريض بتشبيه حال أصحاب أحد بحال أصحاب الأنبياء السالفين لأن محل المثل ليس هو خصوص الانهزام في الحرب بل ذلك هو الممثل. وأما التشبيه فهو بصير الأتباع عند حلول المصائب أو موت المتبوع".[2]

قال الطبري رحمه: "وأما "الربيون"، فإن أهل العربية اختلفوا في معناه. فقال بعض نحويي البصرة: هم الذين يعبدون الرَّبَّ، واحدهم "رِبِّيّ". وقال بعض نحويي الكوفة: لو كانوا منسوبين إلى عبادة الربّ لكانوا "رَبّيون" بفتح "الراء"، ولكنه: العلماء، والألوف. و"الربيون" عندنا، الجماعات الكثيرة، واحدهم "رِبِّيّ"، وهم الجماعة. واختلف أهل التأويل في معناه... وذكر أقول في معنى ربيون: عن عبد الله: الربيون: الألوف، عن ابن عباس، قوله: " وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ " قال:

---

[1] المصدر السابق، ج07، ص231-233، بتصرف.

[2] الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، المصدر سبق ذكره، ج 04، ص116.

جموع. وفي رواية أخرى لابن عباس جموع كثيرة، وعن ابن عباس ايضا قال: علماء كثير. وعن الحسن قال: فقهاء علماء. وقال آخرون: الربيون الاتباع".[1]

ثم ذكر السعدي رحمه الله المراد من فقال: "هذا تسلية للمؤمنين، وحث على الاقتداء بهم، والفعل كفعلهم، وأن هذا أمر قد كان متقدما، لم تزل سنة الله جارية بذلك، فقال: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ﴾ أي: وكم من نبي ﴿قَـٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ﴾ أي: جماعات كثيرون من أتباعهم، الذين قد ربتهم الأنبياء بالإيمان والأعمال الصالحة، فأصابهم قتل وجراح وغير ذلك".[2] وقال ابن العثيمين رحمه الله عندما ذكر الفوائد المستفادة من هذه السروة: أن الله سبحانه وتعالى له عناية خاصة بهذه الأمة، حيث يسليهم بما حصل للأمم السابقة...[3]

وقد ذكر الله عز وجل هذا المعني في غير هذا الموضع من السورة كما قال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾﴾ البقرة: ٢١٤ يخبر تبارك وتعالى أنه لا بد أن يمتحن عباده بالسراء والضراء والمشقة كما فعل بمن قبلهم، فهي سنته الجارية، التي لا تتغير ولا تتبدل، أن من قام بدينه وشرعه، لا بد أن يبتليه، فإن صبر على أمر الله، ولم يبال بالمكاره الواقفة في سبيله، فهو الصادق الذي قد نال من السعادة كمالها، ومن السيادة آلتها. ومن جعل فتنة الناس كعذاب الله، بأن صدته المكاره عما هو بصدده، وثنته المحن عن مقصده، فهو الكاذب في دعوى الإيمان، فإنه ليس الإيمان بالتحلي والتمني، ومجرد الدعاوى، حتى تصدقه الأعمال أو تكذبه. فقد جرى على الأمم الأقدمين ما ذكر الله عنهم {مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ} أي: الفقر {وَٱلضَّرَّآءُ} أي: الأمراض في أبدانهم {وَزُلْزِلُوا۟} بأنواع المخاوف من التهديد بالقتل، والنفي، وأخذ الأموال، وقتل الأحبة، وأنواع المضار حتى وصلت بهم الحال، وآل بهم الزلزال، إلى أن استبطأوا نصر الله مع يقينهم به....[4]

---

[1] تفسير الطبري، المصدر سبق ذكره، ج7، ص264- 296، بتصرف.

[2] عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان=تفسير السعدي، ت عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط: 01، 1420هـ -2000 م، ص151.

[3] محمد بن صالح العثيمين، تفسير القرآن الكريم =تفسير ابن العثيمين سورة آل عمران، دار ابن الجوزي، ط01، 1433هـ، ج01، ص261.

[4] المصدر السابق، ص 96.

المطلب الثاني: بيان تعامل السابقين مع المصائب

ذكر الله عز وجل ما حصل للأمم السابقة من مصائب وشدائد كما بيناه في المطلب الأول، وهذا سنبين ما ذكره الله عز وجل كيف كان تعامل أهل الإيمان مع المصائب والشدائد التي أصابتهم للاقتداء بهم والحذو حذوهم، فقال تعالى بعدما ذكر حال الأمم السابقة قَالَتَعَالَى:﴿ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسۡتَكَانُواْۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٤٦﴾ آل عمران: ١٤٦

"فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ" فما عجزوا وما جبنوا عن الجهاد لما نالهم من ألم الجراح الذي نالهم في سبيل الله، ولا لقتل الأصحاب ، عن حرب أعداء الله، ولا نكلوا عن جهادهم " وَمَا ضَعُفُواْ "، يقول: وما ضعفت قواهم لقتل نبيهم "وَمَا ٱسۡتَكَانُواْ"، يعني وما ذلوا فيتخشَّعوا لعدوّهم بالدخول في دينهم ومداهنتهم فيه خيفة منهم، ولكن مضوا قُدُمًا على بصائرهم ومنهاج نبيّهم، صبرًا على أمر الله وأمر نبيهم، وطاعة لله واتباعًا لتنزيله ووحيه " وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ "، يقول: والله يحب هؤلاء وأمثالهم من الصابرين لأمره وطاعته وطاعة رسوله في جهاد عدوه، لا مَنْ فشل ففرَّ عن عدوه، ولا من انقلب على عقبيه فذلّ لعدوه لأنْ قُتِل نبيه أو مات، ولا مَن دخله وهن عن عدوه، وضعفٌ لفقد نبيه.[1]

قال مقاتل: وما استسلموا وما خضعوا لعدوهم[2]، وقال السدي: وما ذلو، قال عطاء: وما تضرعوا وقال أبو العالية: وما جبنوا ولكنهم صبروا على أمر ربهم وطاعة نبيهم وجهاد عدوهم.[3]

قال ابن العثيمين رحمه الله: "عندما ذكر الفوائد المستفادة من هذه السروة: أن من طرق التشجيع على الشيء والإغراء به أن يذكر للإنسان سلفا يقتدي به ويتشجع للحاق به..."[4]

---

[1] تفسير الطبري ج07- ص269-270، مع بعض المزج من تفسير البغوي، ج02، ص117.

[2] انظر مقاتل بن سليمان بن بشير، تفسير مقاتل بن سليمان، ت: عبد الله محمود شحاته، دار إحياء التراث – بيروت، ط: الأولى - 1423 هـ، ج01، ص 306.

[3] تفسير البغوي، المصدر سبق ذكره، ج02، ص117.

[4] تفسير ابن العثيمين سورة آل عمران، المصدر سبق ذكره، ج02، ص262.

ثم قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِيٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤٧﴾ ﴾ واختلفت قراءة الآية: قرأ بعضهم" وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ " بالرفع، جعل القول اسما لكان، فيكون معناه وما كان قولهم إلا قولهم: (رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا) ومن قرأ بالنصب جعل القول خبر كان. واسمها" إِلَّآ أَن قَالُواْ ". ربنا اغفر لنا ذنوبنا يعني الصغائر (وَإِسْرَافَنَا) يعني الكبائر. ....[1] وقال ابن كثير رحمه الله: أي: "لم يكن لهم هجيرى إلا ذلك".[2] وهذه الجملة مفيدة للحصر، يعني حصرت أقوالهم عند هذه المصائب أنهم سألو الله المغفرة، مغفرة الذنوب والإسراف، وسألوه الثبات، وذلك لأن ما أصابهم إنما أصابهم بالذنوب كما قال الله تعالى ﴿ أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦٥﴾ ﴾ آل عمران: ١٦٥ إذن علاقة هذه الآية بما قبلها أن الله لما ذكر حسن فعالهم ذكر حسن مقالهم.[3]

فقد بين الله عز وجل أفعال وأقوال من سبق من الأمم بعدما حصل لهم كالذي حصل للصحابة في غزوة أحد أو أشد، ليقتدوا بهم ويفعلوا ما فعلوا من الصبر وعدم الوهن والدعاء والاستغفار... الصحابة يقتدو بمن سبقهم ونحن نقدي بمن سبقا من الصحابة رضي الله عنهم أجمين ومن قبلهم وإن كانت المواساة للصحابة إلى أن الله تعالى قال: ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُوْلِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿١٣﴾ ﴾ آل عمران: ١٣، وقال أيضا:﴿لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ ﴿١١١﴾﴾ يوسف: ١١١ فالله بين في هذين الموضعين وغيرهما من المواضع أن العبرة من القصص المذكورة في القرآن تكون لأولي الأبصار والعقول عموما كما يقال: العاقل من اتعض بغيره.

ثم بين سبحانه جزاء هؤلاء فقال: ﴿فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْءَاخِرَةِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤٨﴾﴾ يعني بذلك تعالى ذكره: فأعطى الله الذين وصفهم بما وصفهم، من الصبر على طاعة الله بعد مقتل أنبيائهم، وعلى جهاد عدوهم، والاستعانة بالله في أمورهم، واقتفائهم مناهج إمامهم على ما أبلوا في الله " ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا "، يعني: جزاء في الدنيا، وذلك: النصرُ على عدوهم وعدو الله، والظفرُ، والفتح عليهم، والتمكين لهم في البلاد " وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْءَاخِرَةِ "، يعني: وخير جزاء الآخرة على ما

---

[1] تفسير القرطبي، المصدر سبق ذكره، ج04، ص231.

[2] تفسير ابن كثير، المصدر سبق ذكره، ج 02، ص 131.

[3] تفسير ابن العثيمين سورة ال عمران، المصدر سبق ذكره، ج 02، ص 264.

أسلفوا في الدنيا من أعمالهم الصالحة، وذلك: الجنةُ ونعيمُه.. فعل الله ذلك بهم بإحسانهم، فإنه يحب المحسنين، وهم الذين يفعلون مثل الذي وصف عنهم تعالى ذكره أنهم فعلوه حين قتل نبيُّهم.[1]

المطلب الثالث: الإخبار عما حصل للكفار السابقين

كما قد واسى الله عز وجل الصحابة رضوان الله عليهم بإخبارهم عما حصل للمؤمنين الذين سبقوهم ففي هذه السورة كذلك أخبرهم عن جزاء الذين كفروا بربهم لتطمأن قلوبهم بذلك ويواسيهم عما أصابهم فقال جلا وعلا: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغۡنِيَ عَنۡهُمۡ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗاۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ وَقُودُ ٱلنَّارِ ١٠ ﴾ آل عمران: ١٠ يخبر تعالى أن الكفار به وبرسله، الجاحدين بدينه وكتابه، قد استحقوا العقاب وشدة العذاب بكفرهم وذنوبهم وأنه لا يغني عنهم مالهم ولا أولادهم شيئا، وإن كانوا في الدنيا يستدفعون بذلك النكبات التي ترد عليهم، ويقولون ﴿ وَقَالُواْ نَحۡنُ أَكۡثَرُ أَمۡوَٰلٗا وَأَوۡلَٰدٗا وَمَا نَحۡنُ بِمُعَذَّبِينَ ٣٥﴾ سبأ: ٣٥ فيوم القيامة يبدو لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون ﴿ وَبَدَا لَهُمۡ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُواْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ٤٨ ﴾ الزمر: ٤٨ وليس للأولاد والأموال قدر عند الله، إنما ينفع العبد إيمانه بالله وأعماله الصالحة، كما قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُم بِٱلَّتِي تُقَرِّبُكُمۡ عِندَنَا زُلۡفَىٰٓ إِلَّا مَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ جَزَآءُ ٱلضِّعۡفِ بِمَا عَمِلُواْ وَهُمۡ فِي ٱلۡغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ٣٧ ﴾ سبأ: ٣٨ وأخبر هنا أن الكفار هم وقود النار، أي: حطبها، الملازمون لها دائما أبدا، وهذه الحال التي ذكر الله تعالى أنها لا تغني الأموال والأولاد عن الكفار شيئا، سنته الجارية في الأمم السابقة.[2]

فهذا في عموم الكفار السابقين واللاحقين ثم قال بعدها ضربا من المثال عمن سبقهم من الأمم قال تعالى: ﴿ كَدَأۡبِ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمۡۗ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ١١ ﴾ آل عمران: ١١

---

[1] تفسير الطبري، المصدر سبق ذكره، ج07، ص275-276.

[2] تفسير السعدي، المصدر سبق ذكره، ص 123.

كدأب آل فرعون، قال ابن عباس رضي الله عنهما وعكرمة ومجاهد: كفعل آل فرعون وصنيعهم مع نبيهم في الكفر والتكذيب به وبما جاء[1]، وقال عطاء والكسائي وأبو عبيدة: كسنة آل فرعون... يريد عادة هؤلاء الكفار في تكذيب الرسول وجحود الحق كعادة آل فرعون، والذين من قبلهم: كفار الأمم الماضية مثل عاد وثمود وغيرهم، كذبوا بآياتنا فأخذهم الله، فعاقبهم الله، بذنوبهم، وقيل: نظم الآية: إن الذين كفروا لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم عند حلول النقمة والعقوبة بهم، مثل آل فرعون وكفار الأمم الخالية، أخذناهم فلن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم، من عذاب الله شيئا، والله شديد العقاب.[2] وذكر هذا المعني أيضا الشيخ السعدي رحمه الله فقال: "كما جرى لفرعون ومن قبله ومن بعدهم من الفراعنة العتاة الطغاة أرباب الأموال والجنود لما كذبوا بآيات الله وجحدوا ما جاءت به الرسل وعاندوا، أخذهم الله بذنوبهم عدلا منه لا ظلما والله شديد العقاب على من أتى بأسباب العقاب وهو الكفر والذنوب على اختلاف أنواعها وتعدد مراتبها".[3]

وهذه الآية الثانية وإن كانت في آل فرعون إلا أنه في مواضع أخرى ذكر الله عز وجل حال الأمم السابقة وما لحقهم من العذاب والعقاب كما قال **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝٦ ﴾ الفجر: ٦ وقال بعدها **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُوا۟ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ ۝٩ ﴾ الفجر: ٩ وغيرهم من الأمم أي أن الإنسان يعتبر بمن سبقه من الأمم السابقة حتى لا يناله ما نالهم من العذاب وأن **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿فَٱصْبِرْ ۖ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ۝٤٩ ﴾ هود: ٤٩ فهذه سنة الله في خلقه أن العقاب واقع على الكافرين والعاقبة للمتقين، فكم أهلك الله من الأمم السابقة من هم أقوى وأشد من كفار قريش ،فبعضهم اتخذوا من الجبال بيوتا ،وبعضهم لهم من المال والذهب ما إن مفاتيحه تنوء بالعصبة أولي القوة هذه المفاتيح فقط فما بالنا بالمال ،وبعضهم لهم من القوة البدنية والخِلقية عظيمة ،وبعضهم لهم من السطلة و الرياسة ما إن الأنهار تجري من تحته...وغيرها ولكن لم تغني عنهم من الله شيئا فأهلكم الله بكفرهم فلهذا المؤمن لا يحزن ولا ييأس لما عند الكفار فمن سبقهم **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ

---

[1] انظر ينسب: لعبد الله بن عباس – رضي الله عنهما – (المتوفى: 68هـ)، تنوير المقباس من تفسير ابن عباس، جمعه: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (المتوفى: 817هـ)، دار الكتب العلمية – لبنان–، د ط، ص43.

[2] تفسير البغوي، المصدر سبق ذكره، ج 01، ص 415.

[3] تفسير السعدي، المصدر سبق ذكره، ص 123.

هُمۡ أَحۡسَنُ أَثَٰثٗا وَرِءۡيٗا ٧٤﴾ مريم: ٧٤ كثيرًا أهلكنا قبل كفار قومك – أيها الرسول – من الأمم كانوا أحسن متاعًا منهم وأجمل منظرًا.[1]

وذكر أحوال الأمم السابقة يطول فيه النفس والكثير منا يعمل ما حصل لهم، وآثارهم إلى اليوم موجودة فساكنهم المنحوتة في الجبال وقبورهم كالأهرامات وغيرها باقية إلى اليوم تدل على ما كانوا فيه من نعم الله حتى مع التطور العلمي والتكنولوجي اليوم عجزوا عن معرفة كيفية صنع أمثال تلك البنايات احتاروا في كيفية صنعها، ولكن أين هم؟ وأين مالهم وبيوتهم؟

المبحث الثاني: المواساة بمقارنة حال المؤمنين والكفار

في هذا المبحث بإذن الله سنبين كيف واسى الله سبحانه وتعالى المؤمنين ببيان حالهم وحال الكفار في الحال الذي هو الدنيا والمآل في الآخرة

المطلب الأول: بيان الحال الكفار والنهي عن التشبه بهم

فقد بين الله سبحانه حال الكفار وأمر الصحابة رضوان الله عليهم بأن لا يتشبهوا بالكفار عليهم من الله ما يستحقون **قَالَ تَعَالَىٰ:**﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ آل عمران: ١٥٦

ينهى تعالى عباده المؤمنين أن يشابهوا الكافرين، الذين لا يؤمنون بربهم، ولا بقضائه وقدره، من المنافقين وغيرهم. قال السعدي رحمه الله: "ينهاهم عن مشابهتهم في كل شيء".[2]

ثم في تتمة الآية نهي خاص **قَالَ تَعَالَىٰ:**﴿ وَقَالُواْ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ إِذَا ضَرَبُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَوۡ كَانُواْ غُزّٗى لَّوۡ كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ ﴾ آل عمران: ١٥٦

لما بين الله – سبحانه – وتعالى للمؤمنين أن هزيمة من تولى منهم يوم أحد كانت بوسواس من الشيطان استزلهم فزلوا أرادا أن يحذرهم من مثل تلك الوسوسة التي أفسد الشيطان بها قلوب الكافرين،

---

[1] نخبة من أساتذة التفسير، التفسير الميسر، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف – السعودية–، ط: 02، 1430هـ – 2009 م، ص310.

[2] تفسير السعدي، المصدر سبق ذكره، ص153.

فقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَقَالُواْ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ إِذَا ضَرَبُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَوۡ كَانُواْ غُزّٗى لَّوۡ كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ ﴾ أي لا تكونوا مثل هذا الفريق من الناس وهم الذين كفروا وقالوا لأجل إخوانهم أو في شأن إخوانهم في النسب أو المودة والمذهب، إذا هم ضربوا في الأرض – أي سافروا فيها للتجارة والكسب – فماتوا، أو كانوا غزى أي غزاة – وهو جمع لغاز من الجموع النادرة ومثله عفى جمع عاف – سواء كان غزوهم في وطنهم أو في بلاد أخرى فقتلوا: لو كانوا مقيمين عندنا ما ماتوا وما قتلوا، أي ما مات أولئك المسافرون، وما قتل أولئك الغازون، وقرن هذا القول بالكفر مشعر بأن مثله لا ينبغي أن يصدر عن مؤمن، لأنه إنما يصدر من الكافرين.[1]

ثم في آية أخرى **قَالَ تَعَالَىٰ**: ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخۡتَلَفُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُۚ ﴾ آل عمران: ١٠٥ ينهى هذه الأمة أن تكون كالأمم الماضية في تفرقهم واختلافهم، وتركهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مع قيام الحجة عليهم.[2]

وقد نهى الله عن التشبه بالكفار وكل من اتصف بصفة ذميمة في غير ما موضع من القرآن ومنها قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمۡ أَنفُسَهُمۡۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ١٩ ﴾ الحشر: ١٩ وغيرها من الآيات فلفظ لا تكونوا أتى في عشر مواضع من القرآن،[3] وكل موضع من هذه المواضع العشر بعده صفة ذميمة، نهى الله أهل الإيمان بالاتصاف بها. وكذلك ثبت النهي عن التشبه بالكفار في السنة والأمر بمخالفتهم، عَنِ ابْنِ عُمَرَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «خَالِفُوا الْمُشْرِكِينَ أَحْفُوا الشَّوَارِبَ، وَأَوْفُوا اللِّحَى»[4] وعن يعلى بن شداد بن أوس عن أبيه قال: قال

---

[1] محمد رشيد رضا، تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د ط، 1990 م.، ج04، ص159.

[2] تفسير ابن كثير، المصدر سبق ذكره، ج02، ص91.

[3] البقرة (41)، آل عمران (105)-(156)، الأنفال (21) – (47)، النحل (92)، الشعراء (181)، الروم (31)، الأحزاب (69)، الحشر (19).

[4] صحيح مسلم المصدر سبق ذكره، كتاب الطهارة، باب خصال الفطرة، رقم 259.

رسولُ الله – صلى الله عليه وسلم –: "خالِفُوا اليهودَ فإنَّهم لا يُصَلُّون في نِعالِهم ولا خِفافِهم".[1] وغيرها من الأحاديث.

وقد نهى الله عز وجل المؤمنين عن التشبه بالكفار في عموم كفرهم وطغيانهم حتى لا يصيبهم ما أصابهم من الذل والمسكنة وغضب الله عليهم ... وهذا النهي لا يشمل كفار زمانهم فقط بل كفار الذين سبقوهم وكفار كل زمان كما **قَالَ تَعَالَى:** ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوۡاْ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُواْۚ ٦٩ ﴾الأحزاب: ٦٩ قوله تعالى: لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوۡاْ مُوسَىٰ أي: لا تؤذوا محمداً كما آذى بنو إسرائيل موسى فينزل بكم ما نزل بهم...[2] فقد نهاهم عن التشبه ببني إسرائيل في أذية موسى عليه السلام وهذا مجرد مثال واحد والنهي قد شمل كل من كفر بالله عز وجل.

وكذلك نهاهم عن التشبه بهم حال المصائب حتى لا يصبهم ما أصابهم من الحسرة والندم والقنوط واليأس كما قال إبراهيم الخليل عليه السلام: ﴿ قَالَ وَمَن يَقۡنَطُ مِن رَّحۡمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ٥٦ ﴾ الحجر: ٥٦.

ثم بين الله جل وعلا حال الكفار وما قذف الله سبحانه وتعالى ما ألقاه فق قلوب الذين يكفرون به بعدما بين حالهم في الافتراق والاختلاف الحاصل بينهم، **قَالَ تَعَالَى:** ﴿ سَنُلۡقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعۡبَ بِمَآ أَشۡرَكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗاۖ ﴾ آل عمران: ١٥١ قال الطاهر بن عاشور في تفسير الآية: "رجوع إلى تسلية المؤمنين، وتطمينهم، ووعدهم بالنصر على العدو".[3]

فمن ولايته ونصره لهم أنه وعدهم أنه سيلقي في قلوب أعدائهم من الكافرين الرعب، وهو الخوف العظيم الذي يمنعهم من كثير من مقاصدهم، وقد فعل تعالى. وذلك أن المشركين –بعدما انصرفوا من وقعة "أحد" – تشاوروا بينهم، وقالوا: كيف ننصرف، بعد أن قتلنا منهم من قتلنا،

---

[1] أبو داود سليمان السِّجِسْتاني، سنن أبي داود، ت: شعَيب الأرناؤوط – محَمَّد كامِل قره بللي، دار الرسالة العالمية، ط: 01، 1430 هـ – 2009 م، كتاب الصلاة، باب الصلاة في النعال رقم 652. قال شعَيب الأرناؤوط إسناده حسن من أجل هلال بن ميمون، وباقي رجاله ثقات.

[2] جمال الدين أبو الفرج الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، ت: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي – بيروت، ط:01، 1422 هـ، ج3 ص485.

[3] محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، المصدر سبق ذكره، ج04، ص123.

وهزمناهم ولما نستأصلهم؟ فهموا بذلك، فألقى الله الرعب في قلوبهم، فانصرفوا خائبين، ولا شك أن هذا من أعظم النصر.[1]

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓاْ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾ آل عمران: ١١٢ فهذه الآية بينت حال اليهود وكل من كفر بالله جل وعلا.

جعل الله الهوان والصغار أمرًا لازمًا لا يفارق اليهود، فهم أذلاء محتقرون أينما وُجِدوا، إلا بعهد من الله وعهد من الناس يأمنون به على أنفسهم وأموالهم، وذلك هو عقد الذمة لهم وإلزامهم أحكام الإسلام، ورجعوا بغضب من الله مستحقين له، وضُربت عليهم الذلَّة والمسكنة، فلا ترى اليهوديَّ إلا وعليه الخوف والرعب من أهل الإيمان؛ ذلك الذي جعله الله عليهم بسبب كفرهم بالله، وتجاوزهم حدوده، وقَتْلهم الأنبياء ظلمًا واعتداء، وما جرَّأهم على هذا إلا ارتكابهم للمعاصي، وتجاوزهم حدود الله.[2]

قال السعدي رحمه الله: "ولهذا أخبر تعالى أنه عاقبهم بالذلة في بواطنهم والمسكنة على ظواهرهم، فلا يستقرون ولا يطمئنون {إِلَّا بِحَبْلٍ} أي: عهد {مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ} فلا يكون اليهود إلا تحت أحكام المسلمين وعهدهم، تؤخذ منهم الجزية ويستذلون، أو تحت أحكام النصارى وقد {وَبَآءُو} مع ذلك {بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ} وهذا أعظم العقوبات، والسبب الذي أوصلهم إلى هذه الحال ذكره الله بقوله: {ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ} التي أنزلها الله على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم الموجبة لليقين والإيمان، فكفروا بها بغيا وعنادا {وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ} أي: يقابلون أنبياء الله الذين يحسنون إليهم أعظم إحسان بأشر مقابلة، وهو القتل، فهل بعد هذه الجراءة والجناية شيء أعظم منها، وذلك كله بسبب عصيانهم واعتدائهم، فهو الذي جرأهم على الكفر بالله وقتل أنبياء الله".[3]

---

[1] تفسير السعدي، المصدر سبق ذكره، ص151.

[2] التفسير الميسر، المصدر سبق ذكره، ص64.

[3] تفسير السعدي، المصدر سبق ذكره، ص143.

وكذلك الحسرة التي يجدهم الكفار من أفعالهم تجاه المصائب، **قَالَ تَعَالَى:** ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَقَالُواْ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ إِذَا ضَرَبُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَوۡ كَانُواْ غُزّٗى لَّوۡ كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ لِيَجۡعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسۡرَةٗ فِي قُلُوبِهِمۡۗ وَٱللَّهُ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ١٥٦ ﴾ آل عمران: ١٥٦

نهاهم عن مشابهتهم في كل شيء، وفي هذا الأمر الخاص وهو أنهم يقولون لإخوانهم في الدين أو في النسب: {إِذَا ضَرَبُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ} أي: سافروا للتجارة {أَوۡ كَانُواْ غُزّٗى} أي: غزاة، ثم جرى عليهم قتل أو موت، يعارضون القدر ويقولون: {لَّوۡ كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ} وهذا كذب منهم، فقد قال تعالى: {قُل لَّوۡ كُنتُمۡ فِي بُيُوتِكُمۡ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَتۡلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمۡ} ولكن هذا التكذيب لم يفدهم، إلا أن الله يجعل هذا القول، وهذه العقيدة حسرة في قلوبهم، فتزداد مصيبتهم، وأما المؤمنون بالله فإنهم يعلمون أن ذلك بقدر الله، فيؤمنون ويسلمون، فيهدي الله قلوبهم ويثبتها، ويخفف بذلك عنهم المصيبة.[1]

فقد بين الله سبحانه في هذه السورة حال الكفار ليواسي به المؤمنين في مصيبتهم وتلك الصفات الظاهرة والباطنة التي بينها الله عز وجل كانت بسبب ما قدمت أيديهم من الكفر والعصيان عموما كالرعب والمسكنة أو نتيجة تصرفهم في المصائب وما يحل بهم من أقدار الله كالحسرة.

المطلب الثاني: بيان حال المؤمنين

وقد بين كذلك حال المؤمنين فقد صدقهم الله وعده في بداية المعركة **قَالَ تَعَالَى:** ﴿وَلَقَدۡ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥٓ إِذۡ تَحُسُّونَهُم بِإِذۡنِهِۦۖ﴾ آل عمران: ١٥٢

نزلت لما قاله بعض المسلمين من أين أصابنا هذا وقد وعدنا الله النصر، وذلك أنه كان الظفر لهم في الابتداء حتى قتلوا صاحب لواء المشركين وتسعة نفر بعده.[2]

---

[1] تفسير السعدي، المصدر سبق ذكره، ص153.

[2] محمد صديق خان، فتحُ البيان في مقاصد القرآن، المكتبة العصريَّة، صَيدَا – بَيروت، د ط، 1412 هـ - 1992 م، ج02، ص353.

وهذا عود إلى التسلية على ما أصابهم، وإظهار لاستمرار عناية الله تعالى بالمؤمنين، ورمز إلى الثقة بوعدهم بإلقاء الرعب في قلوب المشركين، وتبيين لسبب هزيمة المسلمين: تطمينا لهم بذكر نظيره ومماثله السابق فإن لذلك موقعا عظيما في الكلام على حد قولهم (التاريخ يعيد نفسه) وليتوسل بذلك إلى إلقاء تبعة الهزيمة عليهم، وأن الله لم يخلفهم وعده، ولكن سوء صنيعهم أوقعهم في المصيبة **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفۡسِكَۚ ﴾ النساء: ٧٩.[1]

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَن يَضُرُّوكُمۡ إِلَّآ أَذٗىۖ وَإِن يُقَٰتِلُوكُمۡ يُوَلُّوكُمُ ٱلۡأَدۡبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴾ آل عمران: ١١١ (لَن يَضُرُّوكُمۡ) أي اليهود يا معشر المسلمين بنوع من أنواع الضرر (إِلَّآ) بنوع (أَذٗى) وهو الكذب والتحريف والبهت، ولا يقدرون على الضرر الذي هو الضرر في الحقيقة بالحرب والنهب ونحوهما... وهذا وعد من الله لرسوله وللمؤمنين أن أهل الكتاب لا يغلبونهم وأنهم منصورون عليهم، وقيل الاستثناء منقطع، والمعنى لن يضروكم البتة لكن يؤذونكم يعني باللسان من طعنهم في دينكم أو تهديد أو إلقاء شبهة وتشكيك في القلوب، وكل ذلك يوجب الأذى والغم.[2]

فالآية وعد من الله لرسوله صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين، أن أهل الكتاب لا يغلبونهم وأنهم منصورون عليهم لا ينالهم منهم اصطلام «الاستئصال» إلا إيذاء بالبهت والتحريف، وأما العاقبة فتكون للمؤمنين.[3]

وكذلك الله عز وجل لما بشرهم بالملائكة **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿بَلَىٰٓۚ إِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأۡتُوكُم مِّن فَوۡرِهِمۡ هَٰذَا يُمۡدِدۡكُمۡ رَبُّكُم بِخَمۡسَةِ ءَالَٰفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ١٢٥ ﴾ آل عمران: ١٢٥

قال بعدها: ﴿ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشۡرَىٰ لَكُمۡ وَلِتَطۡمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦۚ وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ١٢٦ ﴾ آل عمران: ١٢٦

---

[1] التحرير والتنوير، المصدر سبق ذكره، ج04، ص126.

[2] محمد صديق خان، فتح البيان في مقاصد القرآن، المصدر سبق ذكره، ج02، ص313.

[3] تفسير القرطبي، المصدر سبق ذكره، ج04، ص174.

يعني تعالى ذكره: وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ وعده إياكم ما وعدكم من إمداده إياكم بالملائكة الذين ذكر عددهم =" إِلَّا بُشۡرَىٰ لَكُمۡ "، يعني بشرى، يبشركم بها ="وَلِتَطۡمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ"، يقول. وكي تطمئن بوعده الذي وعدكم من ذلك قلوبكم، فتسكن إليه، ولا تجزع من كثرة عدد عدوكم،[1]

جعل الله ذلك الإمداد بشرى بالنصر، وطمأنينة للقلوب وفي قصر الإمداد عليهما إشارة إلى عدم مباشرة الملائكة للقتال يومئذ.[2]

قال ابن عباس لم تقاتل الملائكة في معركة إلا يوم بدر وفيما سوى ذلك يشهدون القتال ولا يقاتلون إنما يكونون عدداً ومدداً.[3]

وما جعل الله ذلك القول الذي قاله لكم الرسول وهو (ألن يكفيكم) إلخ إلا بشرى يفرح بها روعكم وتنبسط بها أسارير وجوهكم وطمأنينة لقلوبكم التي طرقها الخوف من كثرة عدوكم واستعدادهم.[4]

وقد بين الله عز وجل أن العلو لأهل الإيمان **قَالَ تَعَالَىٰ:**﴿ وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ١٣٩ ﴾ آل عمران: ١٣٩

يقول تعالى مشجعا لعباده المؤمنين، ومقويا لعزائمهم ومنهضا لهممهم: {وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ} أي: ولا تهنوا وتضعفوا في أبدانكم، ولا تحزنوا في قلوبكم، عندما أصابتكم المصيبة، وابتليتم بهذه البلوى، فإن الحزن في القلوب، والوهن على الأبدان، زيادة مصيبة عليكم، وعون لعدوكم عليكم، بل شجعوا قلوبكم وصبروها، وادفعوا عنها الحزن وتصلبوا على قتال عدوكم، وذكر تعالى أنه لا ينبغي ولا يليق بهم الوهن والحزن، وهم الأعلون في الإيمان، ورجاء نصر الله وثوابه، فالمؤمن المتيقن ما وعده الله

---

[1] تفسير الطبري، المصدر سبق ذكره، ج07، ص170.

[2] محمد صديق خان، فتح البيان، المصدر سبق ذكره، ج02، 327.

[3] المصدر نفسه، ج2، ص326.

[4] محمد رشيد رضا، تفسير المنار، المصدر سبق ذكره، ج04، ص92.

من الثواب الدنيوي والأخروي لا ينبغي منه ذلك، ولهذا قال تعالى :{وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ} .[1]

وقوله: وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ، الواو للعطف وهذه بشارة لهم بالنصر المستقبل، فالعلو هنا علو مجازي وهو علو المنزلة. وقوله: وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين، الواو للعطف وهذه بشارة لهم بالنصر المستقبل، فالعلو هنا علو مجازي وهو علو المنزلة.[2]

وبمفهوم المخالفة إذا كان العلو لأهل الإيمان فإن الذل والصغار لأهل الكفر.

المطلب الثالث: مصاب المؤمنون قد أصاب الكفار

وكذلك قد بين سبحانه أن المصيبة التي أصابت المؤمنين قد أصابت الكفارين فلما كل هذا الحزن والبأس وقد أصاب العدو مثل ما أصابكم **قَالَ تَعَالَى:** ﴿ أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا ﴾ آل عمران: ١٦٥ هذا تسلية من الله تعالى لعباده المؤمنين، حين أصابهم ما أصابهم يوم "أحد" وقتل منهم نحو سبعين...[3]

وكما قال السعدي رحمه الله هذه تسلمية من الله للصحابة رضي الله عنهم حتى لا يحزنوا على ما أصابهم من القتل والجرح كما قال الطبري رحمه الله في معنى الآية: أوَ حين أصابتكم، أيها المؤمنون، =" مُّصِيبَةٞ "، وهي القتلى الذين قتلوا منهم يوم أحد، والجرحى الذين جرحوا منهم بأحد، وكان المشركون قتلوا منهم يومئذ سبعين نفرًا =" قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا "، يقول: قد أصبتم، أنتم أيها المؤمنون، من المشركين مثلي هذه المصيبة التي أصابوا هم منكم، وهي المصيبة التي أصابها المسلمون من المشركين ببدر، وذلك أنهم قتلوا منهم سبعين وأسروا سبعين..[4]

والمعنى أحين أصابكم من المشركين نصف ما أصابهم منكم قبل ذلك جزعتم...[5]

---

[1] تفسير السعدي، المصدر سبق ذكره، ص149.

[2] الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، المصدر سبق ذكره، ج04، ص99.

[3] تفسير السعدي، المصدر سبق ذكره، ص156.

[4] تفسير الطبري، المصدر سبق ذكره، ج07، ص371.

[5] محمد صديق خان، فتح البيان، المصدر سبق ذكره، ج02، ص370.

وكأن المعنى المذكور يبين أن هذه الآية في نوع من العتاب وهدفه التسلية وإزالة الغم، وهذا الأسلوب معروف أنك تعاتب إنسان حتى تزيل عنه غمه وما يحزنه، هو عتاب للتسلية والمواساة.

وقال الله تعالى أيضا: ﴿ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ﴾ آل عمران: ١٤٠

ثم سلاهم بما حصل لهم من الهزيمة، وبيَّن الحكم العظيمة المترتبة على ذلك، فقال: {إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ} فأنتم وإياهم قد تساويتم في القرح..[1]

تسلية عما أصاب المسلمين يوم أحد من الهزيمة بأن ذلك غير عجيب في الحرب، إذ لا يخلو جيش من أن يغلب في بعض مواقع الحرب، وقد سبق أن العدو غلب.[2]

ثم بين – تعالى – وجه جدارتهم بألا يهنوا ولا يحزنوا فقال: إن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله ... قال كثير من المفسرين: إن القرح بالفتح والضم واحد فهو كالضعف فيه اللغتان، ومعناه الجرح. وقال بعضهم: إن القرح بالفتح هو الجراح وبالضم أثرها وألمها... أقول: والمعنى إن يكن السلاح قد عضكم وعمل فيكم عمله يوم أحد فقد أصاب المشركين أيضا مثل ما أصابكم في ذلك اليوم أو في يوم بدر...[3]

وهذه الآية أيضا أتت مواسيتا للصحابة رضي الله عنهم عما أصابهم من جراح وألام فقد أصاب الكفار مثل ما أصابهم فلا تحزنوا فلا الطرفين مصاب، وكما هو معروف أن الإنسان متى علم أن خصمه وعدوة مصاب مثله خف ألمه وحزنه.

---

[1] تفسير السعدي، المصدر سبق ذكره، ص149.

[2] التحرير والتنوير، المصدر سبق ذكره، ج04، ص99.

[3] محمد رشيد رضا، تفسير المنار، المصدر سبق ذكره، ج04، ص121.

المبحث الثالث: المواساة بمقارنة بالمآل للمؤمنين والكفار

في هذا المبحث بإذن الله سنتطرق لطريقة من طرق مواساة القرآن للصحابة رضوان الله عليهم وما حصل لهم في أحد.

المطلب الأول: مكاسب الكفار لا تنفع يوم القيامة

فقد أخبر الله جل وعلا عن الكفار وأنهم ما جمعوه من حطام الدنيا من غنائم الحرب وغريها مما حصول لن يغني عنهم من الله شيئا **قَالَ تَعَالَى:** ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغۡنِيَ عَنۡهُمۡ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗاۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ وَقُودُ ٱلنَّارِ ١٠ ﴾ آل عمران: ١٠

وهنا: "استئناف كلام ناشئ عن حكاية ما دعا به المؤمنون: من دوام الهداية، وسؤال الرحمة، وانتظار الفوز يوم القيامة، بذكر حال الكافرين في ذلك اليوم، على عادة القرآن في إرداف البشارة بالنذارة. وتعقيب دعاء المؤمنين، بذكر حال المشركين، إيماء إلى أن دعوتهم استجيبت".[1]

قوله تعالى: لَن تُغۡنِيَ عَنۡهُمۡ أَمۡوَٰلُهُمۡ أي: لن تدفع، لأن المال يدفع عن صاحبه في الدنيا، وكذلك الأولاد، فأما في الآخرة، فلا ينفع الكافر ماله، ولا ولده. وقوله تعالى: مِّنَ ٱللَّهِ أي: من عذابه.[2]

يخبر تعالى عن الكفار أنهم وقود النار، ﴿ يَوۡمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعۡذِرَتُهُمۡ وَلَهُمُ ٱللَّعۡنَةُ وَلَهُمۡ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ٥٢ ﴾ غافر: ٥٢ وليس ما أوتوه في الدنيا من الأموال والأولاد بنافع لهم عند الله، ولا بمنجيهم من عذابه وأليم عقابه، بل كما قال تعالى: ﴿ وَلَا تُعۡجِبۡكَ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَأَوۡلَٰدُهُمۡۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِي ٱلدُّنۡيَا وَتَزۡهَقَ أَنفُسُهُمۡ وَهُمۡ كَٰفِرُونَ ٨٥ ﴾ التوبة: ٨٥ وقال تعالى: ﴿ لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي ٱلۡبِلَٰدِ ١٩٦ مَتَٰعٞ قَلِيلٞ ثُمَّ مَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۚ وَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ١٩٧ ﴾ آل عمران: ١٩٦ – ١٩٧ كما قال هاهنا: { إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ } أي: بآيات الله وكذبوا رسله، وخالفوا كتابه، ولم ينتفعوا بوحيه إلى أنبيائه { كَفَرُواْ لَن تُغۡنِيَ عَنۡهُمۡ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗاۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ وَقُودُ ٱلنَّارِ } أي:

---

[1] الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، المصدر سبق ذكره، ج03، ص172.

[2] ابن الجوزي، زاد المسير، المصدر سبق ذكره، ج01، ص261.

حطبها الذي تسجر به وتوقد به، كقوله: **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴿٩٨﴾ ﴾ الأنبياء: ٩٨ .[1]

وقال أيضا في نفس السورة والآيتين يكادان يكونان متشابهتين: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١١٦﴾ ﴾ آل عمران: ١١٦

استئناف ابتدائي للانتقال إلى ذكر وعيد المشركين بمناسبة ذكر وعد الذين آمنوا من أهل الكتاب. وإنما عطف الأولاد هنا لأن الغناء في متعارف الناس يكون بالمال والولد، فالمال يدفع به المرء عن نفسه في فداء أو نحوه، والولد يدافعون عن أبيهم بالنصر...[2]

ومعناه: " (إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ) قيل هم بنو قريظة والنضير، قال مقاتل: لما ذكر تعالى مؤمني أهل الكتاب ذكر كفارهم في هذه الآية، وقيل نزلت في مشركي قريش فإن أبا جهل كثير الافتخار بالأموال، وأنفق أبو سفيان مالاً كثيراً في يومي بدر وأحد على المشركين، والظاهر أن المراد بذلك كل من كفر بما يجب الإيمان به لأن اللفظ عام، ولا دليل يوجب التخصيص فوجب إجراء اللفظ على عمومه. (لَن تُغْنِيَ) أي لن تدفع (عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ) بالفدية ولو افتدوا بها من عذاب الله (وَلَآ أَوْلَٰدُهُم) بالنصر، وإنما خص الأولاد لأنهم أحب القرابة وأرجاهم لدفع ما ينوبهم (مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا) أي لا ينفعهم شيء من ذلك في الآخرة ولا مخلص لهم من عذاب الله، وخصهما بالذكر لأن الإنسان يدفع عن نفسه تارة بفداء المال، وتارة بالاستعانة بالأولاد (شَيْـًٔا وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ) لا يخرجون منها ولا يفارقونها".[3]

قال تعالى مخبرا عن الكفرة المشركين بأنه {إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا} أي لا يرد عنهم بأس الله ولا عذابه إذا أراده بهم {وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ } ثم ضرب مثلا لما ينفقه الكفار في هذه الدار...[4]

---

[1] تفسير ابن كثير، المصدر سبق ذكره، ج02، ص15.

[2] الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، المصدر سبق ذكره، ج04، ص60.

[3] محمد صديق خان، فتح البيان، المصدر سبق ذكره، ج02، ص317.

[4] تفسير ابن كثير، المصدر سبق ذكره، ج02، 105.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ ۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٧﴾ ﴾ آل عمران: ١١٧ هذا مثل ضربه الله تعالى لمن أنفق ماله في غير طاعة ربه ومرضاته. فشبه سبحانه ما ينفقه هؤلاء من أموالهم في المكارم والمفاخر وكسب الثناء، وحسن الذكر، ولا يبتغون به وجه لله، وما ينفقونه ليصدوا به عن سبيل الله وأتباع رسله- بالزرع الذي يزرعه صاحبه يرجو نفعه وخيره، فأصابته ريح شديدة البرد جدا، يحرق بردها كل ما يمر عليه من الزرع والثمار، فأهلكت ذلك الزرع وأيبسته.[1]

وقوله تعالى: مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا اختلفوا فيمن أنزلت على أربعة أقوال:

أحدها: أنها في نفقات الكفّار، وصدقاتهم، قاله مجاهد. الثاني: في نفقة سفلة اليهود على علمائهم، قاله مقاتل. والثالث: في نفقة المشركين يوم بدر. والرابع: في نفقة المنافقين إذا خرجوا مع المسلمين لحرب المشركين، ذكر هذين القولين أبو الحسن الماوردي. وقال السدي: إنما ضرب الإنفاق مثلاً لأعمالهم في شركهم.[2] (مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا) بيان لكيفية عدم إغناء أموالهم التي كانوا يعولون عليها في جلب المنافع ودفع المضار، ...(كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ) الصرّ البرد الشديد، وهو قول أكثر المفسرين، وبه قال ابن عباس وقتادة والسدى وابن زيد، وأصله من الصرير الذي هو الصوت فهو صوت الريح الشديد البارد، وقال الزجاج: الصر صوت لهب النار التي في تلك الريح وبه قال ابن الأنباري من أهل اللغة، وقيل هو الحر الشديد المحرق، ....(أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ) بالكفر والمعاصي (فَأَهْلَكَتْهُ) أي الريح الزرع، ومعنى الآية مثل نفقة الكافرين في بطلانها وذهابها وقت الحاجة إليها وعدم منفعتها كمثل زرع أصابه ريح باردة أو نار حارة فأحرقته أو أهلكته فلم ينتفع أصحابه بشيء منه بعد أن كانوا على طمع من نفعه وفائدته، وعلى هذا فلا بد من تقدير في جانب المشبه به فيقال كمثل زرع أصابته ريح أو مثل إهلاك ما ينفقون كمثل إهلاك ريح. (وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ) بأن لم يقبل نفقاتهم (وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ) أي بالكفر المانع من قبول النفقة التي أنفقوها....[3]

---

[1] شمس الدين ابن قيم الجوزية، تفسير القرآن الكريم (ابن القيم)، ت: مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية بإشراف الشيخ إبراهيم رمضان، دار ومكتبة الهلال – بيروت، ط: 01، 1410 هـ، ص218.

[2] ابن الجوزي، زاد المسير، المصدر سبق ذكره، ج01، ص317.

[3] محمد صديق خان، فتح البيان، المصدر سبق ذكره، ج02، ص318.

المطلب الثاني: التذكير بالمآل

قد بين الله عز وجل للمؤمنين مآلهم يوم القيامة جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وبين في المقابل مآلهم الكفار بأنهم في جهنم خالدين، فإذا عرف الإنسان هذا وذكر به فلا يأسى ولا يحزن على فاته في هذه الدنيا وحطامها الفاني والزائل **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴿١٤﴾ ﴾ آل عمران: ١٤

فبين الله جل وعلا في هذه لذات الدنيا وما يشتهيه الإنسان ويحبه، قال ابن كثير رحمه الله في تفسير هذه الآية:" يخبر تعالى عما زين للناس في هذه الحياة الدنيا من أنواع الملاذ من النساء والبنين...".[1]

وقال السعدي رحمه الله:" يخبر تعالى أنه زين للناس حب الشهوات الدنيوية، وخص هذه الأمور المذكورة لأنها أعظم شهوات الدنيا وغيرها تبع لها...".[2]

ثم قال تعالى بعد أن ذكر لذات الدنيا وما زين للناس منها: ﴿ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۚ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿١٥﴾ ﴾ آل عمران: ١٥

قل -أيها الرسول-: أأخبركم بخير مما زُيّن للنَّاس في هذه الحياة الدنيا، لمن راقب الله وخاف عقابه جنات تجري من تحت قصورها وأشجارها الأنهار، خالدين فيها، ولهم فيها أزواج مطهرات من الحيض والنفاس وسوء الخلق، ولهم أعظم من ذلك: رضوان من الله. والله مطَّلِع على سرائر خلقه، عالم بأحوالهم، وسيجازيهم على ذلك.[3]

وفي هذه الآية تسلية للفقراء الذين لا قدرة لهم على هذه الشهوات التي يقدر عليها الأغنياء، وتحذير للمغترين بها وتزهيد لأهل العقول النيرة بها، وتمام ذلك أن الله تعالى أخبر بعدها عن دار القرار

---

[1] تفسير ابن كثير، المصدر سبق ذكره، ج02، ص19.

[2] تفسير السعدي، المصدر سبق ذكره، ص123.

[3] التفسير الميسر، المصدر سبق ذكره، ص53.

ومصير المتقين الأبرار، وأخبر أنها خير من ذلكم المذكور، ألا وهي الجنات العاليات ذات المنازل الأنيقة والغرف العالية، والأشجار المتنوعة المثمرة بأنواع الثمار، والأنهار الجارية على حسب مرادهم والأزواج المطهرة من كل قذر ودنس وعيب ظاهر وباطن، مع الخلود الدائم الذي به تمام النعيم، مع الرضوان من الله الذي هو أكبر نعيم، فقس هذه الدار الجليلة بتلك الدار الحقيرة، ثم اختر لنفسك أحسنهما واعرض على قلبك المفاضلة بينهما...[1]

وقد أخبر الله عزجل عن النعيم الذي أعده للمؤمنين في هذه السورة وغيرها من سور القرآن، **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ﴾ آل عمران: ١٣٣

يعني تعالى ذكره بقوله:"وسارعوا"، وبادروا وسابقوا = "إلى مغفرة من ربكم"، يعني: إلى ما يستر عليكم ذنوبكم من رحمته، وما يغطيها عليكم من عفوه عن عقوبتكم عليها ="وجنة عرضها السموات والأرض"، يعني: وسارعوا أيضًا إلى جنة عرضها السموات والأرض.[2]

ثم ذكر بعدها صفات للمتقين: **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ ١٣٥ ﴾ آل عمران: ١٣٥ ثم وصف المتقين وأعمالهم، فقال: {ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ} أي: في حال عسرهم ويسرهم... {وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ} أي: إذا حصل لهم من غيرهم أذية توجب غيظهم –وهو امتلاء قلوبهم من الحنق، الموجب للانتقام بالقول والفعل–، هؤلاء لا يعملون بمقتضى الطباع البشرية، بل يكظمون ما في القلوب من الغيظ، ويصبرون عن مقابلة المسيء إليهم. {وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ} يدخل في العفو عن الناس، العفو عن كل من أساء إليك بقول أو فعل، والعفو أبلغ من الكظم، لأن العفو ترك المؤاخذة مع السماحة عن المسيء، وهذا إنما يكون ممن تحلى بالأخلاق الجميلة، وتخلى عن الأخلاق الرذيلة، وممن تاجر مع الله، وعفا عن عباد الله رحمة بهم، وإحسانا إليهم، وكراهة لحصول الشر عليهم، وليعفو الله عنه، ويكون أجره على ربه الكريم، لا على العبد الفقير، كما قال تعالى: {فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ} .ثم ذكر حالة أعم من غيرها، وأحسن

[1] تفسير السعدي، المصدر سبق ذكره، ص123.

[2] تفسير الطبري، المصدر سبق ذكره، ج07، ص207.

وأعلى وأجل، وهي الإحسان، فقال [تعالى]: {وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ} والإحسان نوعان: الإحسان في عبادة الخالق... وأما الإحسان إلى المخلوق، فهو إيصال النفع الديني والدنيوي إليهم، ودفع الشر الديني والدنيوي عنهم... ثم ذكر اعتذارهم لربهم من جناياتهم وذنوبهم، فقال: {١٣٥ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ} أي: صدر منهم أعمال [سيئة] كبيرة، أو ما دون ذلك، بادروا إلى التوبة والاستغفار، وذكروا ربهم، وما توعد به العاصين ووعد به المتقين، فسألوه المغفرة لذنوبهم، والستر لعيوبهم، مع إقلاعهم عنها وندمهم عليها، فلهذا قال: {وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ }.[1]

ثم بين الله جل وعلا ثواب هؤلاء **قَالَ تَعَالَى:** ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغۡفِرَةٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَجَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ١٣٦ ﴾ آل عمران: ١٣٦

قال السعدي رحمه الله:" {أُوْلَٰٓئِكَ} الموصوفون بتلك الصفات {جَزَآؤُهُم مَّغۡفِرَةٞ مِّن رَّبِّهِمۡ} تزيل عنهم كل محذور {وَجَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ} فيها من النعيم المقيم، والبهجة والسرور والبهاء، والخير والسرور، والقصور والمنازل الأنيقة العاليات، والأشجار المثمرة البهية، والأنهار الجاريات في تلك المساكن الطيبات، {خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ} لا يحولون عنها، ولا يبغون بها بدلا ولا يغير ما هم فيه من النعيم، {وَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ} عملوا لله قليلا فأجروا كثيرا فـ "عند الصباح يحمد القوم السرى" وعند الجزاء يجد العامل أجره كاملا موفر".[2]

وأخبرنا الله جل وعلا عن الكافرين فقال:﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَأُعَذِّبُهُمۡ عَذَابٗا شَدِيدٗا فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ٥٦ ﴾ آل عمران: ٥٦

{فَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ} أي: بالله وآياته ورسله {فَأُعَذِّبُهُمۡ عَذَابٗا شَدِيدٗا فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ} أما عذاب الدنيا، فهو ما أصابهم الله به من القوارع والعقوبات المشاهدة والقتل والذل، وغير ذلك مما هو نموذج من عذاب الآخرة، وأما عذاب الآخرة فهو الطامة الكبرى والمصيبة العظمى، ألا وهو عذاب النار وغضب الجبار وحرمانهم ثواب الأبرار {وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ} ينصرونهم من عذاب الله، لا من

[1] تفسير السعدي، المصدر سبق ذكره، ص148.

[2] المصدر نفسه، ص148.

زعموا أنهم شفعاء لهم عند الله، ولا ما اتخذوهم أولياء من دونه، ولا أصدقائهم وأقربائهم، ولا أنفسهم ينصرون.[1]

وأمثلة هذا العذاب وذكره في القرآن تعددت وتنوعت ففي مواضع بعد ذكر صفات أهل الكفر والنفاق والفسوق والعصيان يذكر مالهم من عذاب إما بلفظ العذاب وقد تعددت أنواع فتارة يكون بِعَذَابٍ أَلِيمٍ وتارة عَذَابٌ مُّهِينٌ وتارة عَذَابٌ عَظِيمٌ وفي مواضع أخرى بذكر النار ووصفها **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ البقرة: ٢٤ وكما وصفها النبي صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم: «يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام، مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها».[2] وقال أيضا «ناركم هذه التي يوقد ابن آدم جزء من سبعين جزءا، من حر جهنم» قالوا: والله إن كانت لكافية، يا رسول الله قال: «فإنها فضلت عليها بتسعة وستين جزءا، كلها مثل حرها».[3] وغير ذلك مما ثبت في القرآن والسنة من وصف النار وأصناف العذاب الذي أعده الله للكفرة ، الفسقة الفجرة، مما ينسي الإنسان كل الألآم التي تصيبه في هذه الدنيا ويسعى للنجاة من العذاب الأعظم يوم القيامة.

وفي مواضع أخرى يقرن الله جل وعلا ذكر أحوال الفريقين في سياق فيه نوع من المقارنة كما في قوله تعالى **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١٠٧﴾ ﴾ آل عمران: ١٠٦ – ١٠٧

يوم القيامة تَبْيَضُّ وجوه أهل السعادة الذين آمنوا بالله ورسوله، وامتثلوا أمره، وتَسْوَدُّ وجوه أهل الشقاوة ممن كذبوا رسوله، وعصوا أمره. فأما الذين اسودَّت وجوههم، فيقال لهم توبيخًا: أكفرتم بعد إيمانكم، فاخترتم الكفر على الإيمان؟ فذوقوا العذاب بسبب كفركم. وأما الذين ابيضَّتْ وجوهم

---

[1] تفسير السعدي، المصدر سبق ذكره، ص132.

[2] صحيح مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب في شدة حر نار جهنم وبعد قعرها وما تأخذ من المعذبين، رقم 2842.

[3] صحيح مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب في شدة حر نار جهنم وبعد قعرها وما تأخذ من المعذبين، رقم 2843.

بنضرة النعيم، وما بُشِّروا به من الخير، فهم في جنة الله ونعيمها، وهم باقون فيها، لا يخرجون منها أبدًا.[1]

ومثله أيضا قوله تعالى: ﴿ لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي ٱلۡبِلَٰدِ ١٩٦ مَتَٰعٞ قَلِيلٞ ثُمَّ مَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۚ وَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ١٩٧ لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا نُزُلٗا مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۗ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لِّلۡأَبۡرَارِ ١٩٨ ﴾ آل عمران: ١٩٦ - ١٩٨

وهذه الآية المقصود منها التسلية عما يحصل للذين كفروا من متاع الدنيا، وتنعمهم فيها، وتقلبهم في البلاد بأنواع التجارات والمكاسب واللذات، وأنواع العز، والغلبة في بعض الأوقات، فإن هذا كله {مَتَٰعٞ قَلِيلٞ} ليس له ثبوت ولا بقاء، بل يتمتعون به قليلا ويعذبون عليه طويلا هذه أعلى حالة تكون للكافر، وقد رأيت ما تؤول إليه. وأما المتقون لربهم، المؤمنون به- فمع ما يحصل لهم من عز الدنيا ونعيمها {لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا}. فلو قدر أنهم في دار الدنيا، قد حصل لهم كل بؤس وشدة، وعناء ومشقة، لكان هذا بالنسبة إلى النعيم المقيم، والعيش السليم، والسرور والحبور، والبهجة نزرا يسيرا، ومنحة في صورة محنة، ولهذا قال تعالى: {وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لِّلۡأَبۡرَارِ} وهم الذين برت قلوبهم، فبرت أقوالهم وأفعالهم، فأثابهم البر الرحيم من بره أجرا عظيما، وعطاء جسيما، وفوزا دائما.[2]

وفي الأخير فإن الإنسان مهما أصابه في هذه الدنيا وما حصله من نعيم فليتذكر قوله تعالى **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ﴾ آل عمران: ١٣٣

وكما وصفها النبي صلى الله عليه وسلم فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال " قال الله عز وجل: أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر

[1] التفسير الميسر، المصدر سبق ذكره، ص62-63.

[2] تفسير السعدي، المصدر سبق ذكره، ص162.

على قلب بشر، مصداق ذلك في كتاب الله: **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٧ ﴾ السجدة: ١٧".[1]

ومهما أصابه في هذه الدنيا من آلام ومصائب بشتى أنواعها فليتذكر قوله تعالى ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِيٓ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ ١٣١ ﴾ آل عمران: ١٣١ وقد سبق ذكر الأحاديث في وصف النار والأحاديث كثير لا تحصر في وصف آليم العذاب الذي أعده الله للكفرة والفاسقين، نسأله الله النجاة من النار والفوز بالجنان.فالجنة أعدها الله للمتقين الصالحين المؤمنين، والنار أعدها للكافرين والفسقة والمجرمين، وكل منهما سيخبر الآخر عن المآل الذي تحصل عليه كما أخبر الله تعالى بذلك في سورة الأعراف **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدۡ وَجَدۡنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقّٗا فَهَلۡ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمۡ حَقّٗاۖ قَالُواْ نَعَمۡۚ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنُۢ بَيۡنَهُمۡ أَن لَّعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ٤٤ ﴾ الأعراف: ٤٤

بعد أن ذكر سبحانه النار وأهلها، والجنة وأهلها، بين لنا في هذه الآيات وما بعدها بعض ما يكون بين الفريقين – فريق الجنة وفريق السعير – من الحوار بعد استقرار كل منهما في داره، وتمكنه في قراره، ... فيخاطب بعضهم بعضا بما يزيد أهل الجنة عرفانا بقيمة نعمة الله عليهم، ويزيد أهل النار حسرة على تفريطهم وشقاء على شقائهم...[2]

[1] صحيح مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، لا يوجد باب، رقم 2824.

[2] محمد رشيد رضا، تفسير المنار، المصدر سبق ذكره، ج08، ص377.

المطلب الثالث: قتلى المؤمنين في الجنة وقتلى الكفار في النار

فقد أخبر الله سبحانه في القرآن الكريم في أكثر من موضع أن الذين قتلوا في سبيل الله مصير في جنات النعيم بل هم في اعلى درجات النعيم لأنهم قد حصلوا أعلى درجات الشهادة **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾﴾ آل عمران: ١٦٩

هذه الآيات الكريمة فيها فضيلة الشهداء وكرامتهم، وما منَّ الله عليهم به من فضله وإحسانه، وفي ضمنها تسلية الأحياء عن قتلاهم وتعزيتهم، وتنشيطهم للقتال في سبيل الله والتعرض للشهادة، فقال: {وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ} أي: في جهاد أعداء الدين، قاصدين بذلك إعلاء كلمة الله {أَمْوَٰتًۢا} أي: لا يخطر ببالك وحسبانك أنهم ماتوا وفقدوا، وذهبت عنهم لذة الحياة الدنيا والتمتع بزهرتها، الذي يحذر من فواته، من جبن عن القتال، وزهد في الشهادة. {بَلْ} قد حصل لهم أعظم مما يتنافس فيه المتنافسون. فهم {أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ} في دار كرامته. ولفظ: {عِندَ رَبِّهِمْ} يقتضي علو درجتهم، وقربهم من ربهم، {يُرْزَقُونَ} من أنواع النعيم الذي لا يعلم وصفه، إلا من أنعم به عليهم.[1]

روى ابن عباس عن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم أنه قال: «لما أصيب إخوانكم بأحد، جعل الله أرواحهم في أجواف طير خضر، ترد أنهار الجنة، وتأكل من ثمارها، وتأوي إلى قناديل من ذهب معلقة في ظل العرش، فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم، وحسن مقيلهم، قالوا: ليت إخواننا يعلمون بما صنع الله لنا، لئلا يزهدوا في الجهاد ولا ينكلوا عن الحرب قال الله تعالى: أنا أبلغهم عنكم، فأنزل الله تعالى هذه الآية».[2].[3]

ثم قال تعالى بعدها: **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا

---

[1] تفسير السعدي، المصدر سبق ذكره، ص156.

[2] أبو داود سليمان السِّجِسْتاني، سنن أبي داود، ت: شعَيب الأرناؤوط – محَمَّد كامِل قره بللي، دار الرسالة العالمية، ط: 01، 1430 هـ - 2009 م، أول كتاب الجهاد، باب في فضْل الشهادة، رقم 2520، مسند الإمام أحمد رقم 2388، قال عنه الألباني في سنن ابي داوود" حديث حسن، وصححه الحاكم والذهبي، وأقره المنذري".

[3] ابن الجوزي، زاد المسير، المصدر سبق ذكره، ج01، ص346.

يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٧١﴾ آل عمران: ١٧٠-١٧١ ومع هذا {فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ} أي: مغتبطين بذلك، قد قرت به عيونهم، وفرحت به نفوسهم، وذلك لحسنه وكثرته، وعظمته، وكمال اللذة في الوصول إليه، وعدم المنغص، فجمع الله لهم بين نعيم البدن بالرزق، ونعيم القلب والروح بالفرح بما آتاهم من فضله: فتم لهم النعيم والسرور، وجعلوا {فَضۡلِهِۦ وَيَسۡتَبۡشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمۡ يَلۡحَقُواْ بِهِم مِّنۡ خَلۡفِهِمۡ} أي: يبشر بعضهم بعضا، بوصول إخوانهم الذين لم يلحقوا بهم، وأنهم سينالون ما نالوا، {أَلَّا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ} أي: يستبشرون بزوال المحذور عنهم وعن إخوانهم المستلزم كمال السرور، {يَسۡتَبۡشِرُونَ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ} أي: يهنىء بعضهم بعضا، بأعظم مهنأ به، وهو: نعمة ربهم، وفضله، وإحسانه، {وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ} بل ينميه ويشكره، ويزيده من فضله، ما لا يصل إليه سعيهم.[1]

قال ابن القيم:" وأقام سوق الجهاد في هذه الدار في مدة العمر التي هي بالإضافة إلى الآخرة كنفس واحد من أنفاسها، واشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة، يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون، وأخبر أن ذلك وعد مؤكد عليه في أشرف كتبه، وهي التوراة والإنجيل والقرآن، وأخبر أنه لا أوفى بعهده منه سبحانه، ثم أمرهم أن يستبشروا بهذه الصفقة التي من أراد أن يعرف قدرها فلينظر إلى المشتري من هو؟ وإلى الثمن المبذول في هذه السلعة، وإلى من جرى على يديه هذا العقد، فأي فوز أعظم من هذا؟ وأي تجارة أربح منه؟ ثم أكد سبحانه معهم هذا الأمر بقوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ١٠ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ١١ يَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡ وَيُدۡخِلۡكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١٢ وَأُخۡرَىٰ تُحِبُّونَهَاۖ نَصۡرٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتۡحٞ قَرِيبٞۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٣ ﴾ الصف: ١٠ - ١٣. ولم يسلط سبحانه هذا العدو على عبده المؤمن الذي هو أحب المخلوقات إليه، إلا لأن الجهاد أحب شيء إليه، وأهله أرفع الخلق عنده درجات، وأقربهم إليه وسيلة...[2] وإن كلامه رحمه الله عن جهاد الشيطان وكما هو معلوم فالجهادة مراتب أدناها جهاد النفس وأعلاها الجهاد في سبيل الله.

---

[1] تفسير السعدي، المصدر سبق ذكره، ص156.

[2] ابن قيم الجوزية، الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي أو الداء والدواء، دار المعرفة – المغرب، ط: 01، 1418هـ - 1997م، ص95-96.

الفصل الثاني

التذكير بالنعم وبيان المكاسب والحكم

- المبحث الأول: التذكير بالنعم
- المبحث الثاني: بيان الحكم من المصيبة
- المبحث الثالث: ذكر المكتسبات

تمهيد

في هذا الفصل بإذن الله سنبين كيف واسى الله عز وجل الصحابة رضوان الله عليهم وذلك بتذكيرهم بنعمه عليهم، ونبين المكاسب التي ذكرها الله جل وعلا في سورة آل عمران بعدما حصل في غزوة أحد، وكذلك الحكم التي ذكرها الله تعالى لهذا الحدث الجلل.

المبحث الأول: التذكير بالنعم

في هذا المبحث سنتطرق إلى ذكر النعم التي ذكرها الله عز وجل في سورة آل عمران في سياق المواساة بعد أن لقي الصحابة ما لقو، وإلا نعم الله جل وعلا لا تعد ولا تحصى **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ١٨ ﴾ النحل: ١٨ وهذه الآية أتت بعد ذكر مجموعة من الآيات تذكر نعم الله على خلقه.

ثم نبههم على كثرة نعمه عليهم وإحسانه إليهم، فقال: {وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ} أي: يتجاوز عنكم، ولو طالبكم بشكر جميع نعمه لعجزتم عن القيام بذلك، ولو أمركم به لضعفتم وتركتم، ولو عذبكم لعذبكم وهو غير ظالم لكم، ولكنه غفور رحيم، يغفر الكثير، ويجازي على اليسير.[1]

المطلب الأول: التذكير بالنعم قبل المصيبة

قد ذكر الله جل وعلا نعم عديد تذكيرا للصحابة رضوان الله عليهم حتى لا يحزنوا على ما فاتهم ولا ما أصابهم في غزوة أحد. فذكرهم بنعم قبلية اي قبل مصيبتهم التي أصابتهم منها: **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ لَقَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ بَعَثَ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ١٦٤ ﴾ آل عمران: ١٦٤ استئناف لتذكير رجال يوم أحد وغيرهم من المؤمنين بنعمة الله عليهم. ومناسبة ذكره هنا أن فيه من التسلية على مصيبة الهزيمة حظا عظيما، إذ قد شاع تصبير المحزون وتعزيته بتذكيره ما هو فيه من النعم...[2]

---

[1] تفسير ابن كثير، المصدر سبق ذكره، ج04، 564.

[2] الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، المصدر سبق ذكره، ج04، ص157-158.

هذه المنة التي امتن الله بها على عباده، أكبر النعم، بل أصلها، وهي الامتنان عليهم بهذا الرسول الكريم الذي أنقذهم الله به من الضلالة، وعصمهم به من الهلكة، فقال: {لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ} يعرفون نسبه، وحاله، ولسانه، من قومهم وقبيلتهم، ناصحا لهم، مشفقا عليهم، يتلو عليهم آيات الله، يعلمهم ألفاظها ومعانيها. {وَيُزَكِّيهِمْ} من الشرك، والمعاصي، والرذائل، وسائر مساوئ الأخلاق. و {وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ} إما جنس الكتاب الذي هو القرآن، فيكون قوله: {يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ} المراد به الآيات الكونية، أو المراد بالكتاب – هنا– الكتابة، فيكون قد امتن عليهم، بتعليم الكتاب والكتابة، التي بها تدرك العلوم وتحفظ، {وَٱلْحِكْمَةَ} هي: السنة، التي هي شقيقة القرآن، أو وضع الأشياء مواضعها، ومعرفة أسرار الشريعة. فجمع لهم بين تعليم الأحكام، وما به تنفذ الأحكام، وما به تدرك فوائدها وثمراتها، ففاقوا بهذه الأمور العظيمة جميع المخلوقين، وكانوا من العلماء الربانيين، {وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ} بعثة هذا الرسول {لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ} لا يعرفون الطريق الموصل إلى ربهم، ولا ما يزكي النفوس ويطهرها، بل ما زين لهم جهلهم فعلوه، ولو ناقض ذلك عقول العالمين.[1]

وقال أيضا في سياق ذكر النعم السابقة والعامة **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ ...وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾ آل عمران: ١٠٣

قال السعدي رحمه الله: "ثم ذكرهم تعالى نعمته وأمرهم بذكرها فقال: {وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً} يقتل بعضكم بعضا، ويأخذ بعضكم مال بعض، حتى إن القبيلة يعادي بعضهم بعضا، وأهل البلد الواحد يقع بينهم التعادي والاقتتال، وكانوا في شر عظيم، وهذه حالة العرب قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم فلما بعثه الله وآمنوا به واجتمعوا على الإسلام وتآلفت قلوبهم على الإيمان كانوا كالشخص الواحد، من تآلف قلوبهم وموالاة بعضهم لبعض، ولهذا قال: { فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ } أي: قد استحقيتم النار ولم يبق بينكم وبينها إلا أن تموتوا فتدخلوها {فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا} بما مَنَّ عليكم من الإيمان بمحمد صلى الله

[1] تفسير السعدي، المصدر سبق ذكره، ص155.

عليه وسلم {كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ} أي: يوضحها ويفسرها، ويبين لكم الحق من الباطل، والهدى من الضلال {لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ} بمعرفة الحق والعمل به، وفي هذه الآية ما يدل أن الله يحب من عباده أن يذكروا نعمته بقلوبهم وألسنتهم ليزدادوا شكرا له ومحبة، وليزيدهم من فضله وإحسانه، وإن من أعظم ما يذكر من نعمه نعمة الهداية إلى الإسلام، واتباع الرسول صلى الله عليه وسلم واجتماع كلمة المسلمين وعدم تفرقها".[1]

وكذلك قد ذكر الله جل وعلا تذكيرا للصحابة بمنه وفضله عليهم في مضي في غزة برد فقال: ﴿ وَلَقَدۡ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدۡرٖ وَأَنتُمۡ أَذِلَّةٞۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ١٢٣﴾ آل عمران: ١٢٣ وهذا امتنان منه على عباده المؤمنين، وتذكير لهم بما نصرهم به يوم بدر وهم أذلة في قلة عَددهم وعُددهم مع كثرة عدد عدوهم وعُددهم...[2]

إذ قد كانت وقعة أحد لم تنكشف عن نصر المسلمين، عقب الله ذكرها بأن ذكرهم الله تعالى نصره إياهم النصر الذي قدره لهم يوم بدر، وهو نصر عظيم إذ كان نصر فئة قليلة على جيش كثير، ذي عدد وافرة، وكان قتلى المشركين يومئذ سادة قريش، وأئمة الشرك، وحسبك بأبي جهل بن هشام، ولذلك قال تعالى: وأنتم أذلة أي ضعفاء.[3]

المطلب الثاني: التذكير بالنعم بعد المصيبة

وكذلك الله عز وجل ذكرهم بالنعم التي أنعم الله عليهم بعد المصيبة فنعم الله جل وعلا لا تعد ولا تحصى كما ذُكر سابقا. وحتى بعد ما كان منهم رضي الله عنهم من تقصير وتفريط أنعم عليهم بنعم ليواسهم وينسيهم ما هم فيه من حزن وكرب وذلك لما لهم رضي الله عنهم من رفيع المقام عند الله جل وعلا ومنها قوله تعالى: ﴿ إِذۡ تُصۡعِدُونَ وَلَا تَلۡوُۥنَ عَلَىٰٓ أَحَدٖ وَٱلرَّسُولُ يَدۡعُوكُمۡ فِيٓ أُخۡرَىٰكُمۡ فَأَثَٰبَكُمۡ غَمَّۢا بِغَمّٖ لِّكَيۡلَا تَحۡزَنُواْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمۡ وَلَا مَآ أَصَابَكُمۡۗ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١٥٣﴾ آل عمران: ١٥٣ اذكروا -يا أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم- ما كان مِن أمركم حين أخذتم تصعدون الجبل هاربين من أعدائكم، ولا تلتفتون إلى أحد لِمَا اعتراكم

[1] المصدر السابق، ص141.

[2] تفسير السعدي، المصدر سبق ذكره، ص146.

[3] الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، المصدر سبق ذكره، ج04، ص72.

من الدهشة والخوف والرعب، ورسول الله صلى الله عليه وسلم ثابت في الميدان يناديكم من خلفكم قائلا إليَّ عبادَ الله، وأنتم لا تسمعون ولا تنظرون، فكان جزاؤكم أن أنزل الله بكم ألما وضيقًا وغمًّا، لكيلا تحزنوا على ما فاتكم من نصر وغنيمة، ولا ما حلَّ بكم من خوف وهزيمة. والله خبير بجميع أعمالكم، لا يخفى عليه منها شيء.[1]

يذكرهم تعالى حالهم في وقت انهزامهم عن القتال، ويعاتبهم على ذلك، فقال: {إِذْ تُصْعِدُونَ} أي: تجدون في الهرب {وَلَا تَلْوُۥنَ عَلَىٰٓ أَحَدٍ} أي: لا يلوي أحد منكم على أحد، ولا ينظر إليه، بل ليس لكم هم إلا الفرار والنجاء عن القتال. والحال أنه ليس عليكم خطر كبير، إذ لستم آخر الناس مما يلي الأعداء، ويباشر الهيجاء، بل {وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِىٓ أُخْرَىٰكُمْ} أي: مما يلي القوم يقول: "إليَّ عباد الله" فلم تلتفتوا إليه، ولا عرجتم عليه، فالفرار نفسه موجب للوم، ودعوة الرسول الموجبة لتقديمه على النفس، أعظم لَوْمًا بتخلفكم عنها، {فَأَثَٰبَكُمْ} أي: جازاكم على فعلكم {غَمًّۢا بِغَمٍّ} أي: غما يتبع غما، غم بفوات النصر وفوات الغنيمة، وغم بانهزامكم، وغم أنساكم كل غم، وهو سماعكم أن محمدا صلى الله عليه وسلم قد قتل. ولكن الله -بلطفه وحسن نظره لعباده- جعل اجتماع هذه الأمور لعباده المؤمنين خيرا لهم، فقال: {لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ} من النصر والظفر، {وَلَا مَآ أَصَٰبَكُمْ} من الهزيمة والقتل والجراح، إذا تحققتم أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يقتل هانت عليكم تلك المصيبات، واغتبطتم بوجوده المسلي عن كل مصيبة ومحنة، فلله ما في ضمن البلايا والمحن من الأسرار والحكم، وكل هذا صادر عن علمه وكمال خبرته بأعمالكم، وظواهركم وبواطنكم، ولهذا قال: {وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ}. ويحتمل أن معنى قوله: {لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَآ أَصَٰبَكُمْ} يعني: أنه قدَّر ذلك الغم والمصيبة عليكم، لكي تتوطن نفوسكم، وتمرنوا على الصبر على المصيبات، ويخف عليكم تحمل المشقات.[2]

وقال تعالى: ﴿ ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ ۖ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَىْءٍ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ ۗ

---

[1] التفسير الميسر، المصدر سبق ذكره، ص69.

[2] تفسير السعدي، 153.

يُخۡفُونَ فِيٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبۡدُونَ لَكَۖ يَقُولُونَ لَوۡ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلۡأَمۡرِ شَيۡءٞ مَّا قُتِلۡنَا هَٰهُنَاۗ قُل لَّوۡ كُنتُمۡ فِي بُيُوتِكُمۡ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَتۡلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمۡۖ وَلِيَبۡتَلِيَ ٱللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمۡ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمۡۚ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ١٥٤﴾ آل عمران: ١٥٤ {ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيۡكُم مِّنۢ بَعۡدِ ٱلۡغَمِّ} الذي أصابكم {أَمَنَةٗ نُّعَاسٗا يَغۡشَىٰ طَآئِفَةٗ مِّنكُمۡۖ}. ولا شك أن هذا رحمة بهم، وإحسان وتثبيت لقلوبهم، وزيادة طمأنينة؛ لأن الخائف لا يأتيه النعاس لما في قلبه من الخوف، فإذا زال الخوف عن القلب أمكن أن يأتيه النعاس. وهذه الطائفة التي أنعم الله عليها بالنعاس هم المؤمنون الذين ليس لهم هم إلا إقامة دين الله، ورضا الله ورسوله، ومصلحة إخوانهم المسلمين. وأما الطائفة الأخرى الذين {قَدۡ أَهَمَّتۡهُمۡ أَنفُسُهُمۡ} فليس لهم هم في غيرها، لنفاقهم أو ضعف إيمانهم، فلهذا لم يصبهم من النعاس ما أصاب غيرهم، {يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلۡأَمۡرِ مِن شَيۡءٖۗ} وهذا استفهام إنكاري، أي: ما لنا من الأمر –أي: النصر والظهور– شيء، فأساءوا الظن بربهم وبدينه ونبيه، وظنوا أن الله لا يتم أمر رسوله، وأن هذه الهزيمة هي الفيصلة والقاضية على دين الله، قال الله في جوابهم: {قُلۡ إِنَّ ٱلۡأَمۡرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِۗ } الأمر يشمل الأمر القدري، والأمر الشرعي، فجميع الأشياء بقضاء الله وقدره، وعاقبة النصر والظفر لأوليائه وأهل طاعته، وإن جرى عليهم ما جرى. {يُخۡفُونَ} يعني المنافقين {فِيٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبۡدُونَ لَكَ} ثم بين الأمر الذي يخفونه، فقال: {يَقُولُونَ لَوۡ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلۡأَمۡرِ} أي: لو كان لنا في هذه الواقعة رأي ومشورة {مَّا قُتِلۡنَا هَٰهُنَاۗ} وهذا إنكار منهم وتكذيب بقدر الله، وتسفيه منهم لرأي رسول الله صلى الله عليه وسلم، ورأي أصحابه، وتزكية منهم لأنفسهم، فرد الله عليهم بقوله: {قُل لَّوۡ كُنتُمۡ فِي بُيُوتِكُمۡ} التي هي أبعد شيء عن مظان القتل {لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَتۡلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمۡۖ} فالأسباب –وإن عظمت– إنما تنفع إذا لم يعارضها القدر والقضاء، فإذا عارضها القدر لم تنفع شيئا، بل لا بد أن يمضي الله ما كتب في اللوح المحفوظ من الموت والحياة، {وَلِيَبۡتَلِيَ ٱللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمۡ} أي: يختبر ما فيها من نفاق وإيمان وضعف إيمان، {وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمۡۚ} من وساوس الشيطان، وما تأثر عنها من الصفات غير الحميدة. {وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ} أي: بما فيها وما أكنته، فاقتضى علمه وحكمته أن قدر من الأسباب، ما به تظهر مخبآت الصدور وسرائر الأمور.[1]

وقد ذكر الله جل وعلا كذلك ما امتحن به المؤمنين وبين فضله عليهم **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعۡدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلۡقَرۡحُۚ لِلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ مِنۡهُمۡ وَٱتَّقَوۡاْ أَجۡرٌ عَظِيمٌ ١٧٢ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ ١٧٣﴾ آل

[1] تفسير السعدي، المصدر سبق ذكره، ص153.

عمران: ١٧٣- ١٧٢ الذين لبُّوا نداء الله ورسوله وخرجوا في أعقاب المشركين إلى «حمراء الأسد» بعد هزيمتهم في غزوة «أُحد» مع ما كان بهم من آلام وجراح، وبذلوا غاية جهدهم، والتزموا بهدي نبيهم، للمحسنين منهم والمتقين ثواب عظيم. وهم الذين قال لهم بعض المشركين: إن أبا سفيان ومن معه قد أجمعوا أمرهم على الرجوع إليكم لاستئصالكم، فاحذروهم واتقوا لقاءهم، فإنه لا طاقة لكم بهم، فزادهم ذلك التخويف يقينًا وتصديقًا بوعد الله لهم، ولم يَثْنِهم ذلك عن عزمهم، فساروا إلى حيث شاء الله، وقالوا: حسبنا الله أي: كافينا، ونِعْم الوكيل المفوَّض إليه تدبير عباده.[1]

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَٱنقَلَبُواْ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ لَّمۡ يَمۡسَسۡهُمۡ سُوٓءٞ وَٱتَّبَعُواْ رِضۡوَٰنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضۡلٍ عَظِيمٍ ١٧٤ ﴾ آل عمران: ١٧٤ {فَٱنقَلَبُواْ} أي: رجعوا {بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ لَّمۡ يَمۡسَسۡهُمۡ سُوٓءٞ}. وجاء الخبر للمشركين أن الرسول وأصحابه قد خرجوا إليكم، وندم من تخلف منهم، فألقى الله الرعب في قلوبهم، واستمروا راجعين إلى مكة، ورجع المؤمنون بنعمة من الله وفضل، حيث مَنَّ عليهم بالتوفيق للخروج بهذه الحالة والاتكال على ربهم، ثم إنه قد كتب لهم أجر غزاة تامة، فبسبب إحسانهم بطاعة ربهم، وتقواهم عن معصيته، لهم أجر عظيم، وهذا فضل الله عليهم.[2]

فجانب تذكر نعم الله عز وجل من أعظم الأمور لتحقيق المواساة والصبر على الشدائد، فالإنسان إذا عرض له ما يسوءه ويحزنه فليتذكر ما أنعم الله عليه من النعم، وإن كان الموضع هنا في مواساة الصحابة إلى أن القرآن نزل للناس كافة **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِۗ ﴾ يوسف: ١١١ وإن كانت الآية قد جاءت في سياق قصص الأنبياء ولكن قصص القرآن جاءت عبرة كلها سواء قصص الأنبياء أم قصص غير الأنبياء من الأقوام الصالحين أو الأقوام الطالحين، فالصالحين للاقتداء والطالحين للابتعاد عما كانوا فيه من غي وظلال، ولهذا فعلى الإنسان أن يعتبر بمن قبله كما قيل " السعيد من اتعظ بغيره والشقي من اتعظ به غيره".

---

[1] التفسير الميسر، المصدر سبق ذكره، ص72.

[2] تفسير السعدي، المصدر سبق ذكره، ص157.

المطلب الثالث: بيان سعة عفو الله ومغفرته

ومن الأساليب أيضا في مواساة القرآن لعباد الله المؤمنين أن يبين لهم سعة عفو الله تعالى حتى لا يقنطو من رحمة الله وحتى لا يحزنوا بسبب ماحصل لهم من تقصير فعفو الله ومغرفته واسعة **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ ۞ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ ﴾ الزمر: ٥٣ فالله يغفر الذنوب جميعا لمن تاب منها فلا يجب أن يقنط العبد من رحمة الله **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ۚ ﴾ الأعراف: ١٥٦ فرحمة الله واسعة ولكن يجب على الإنسان أن يعرض نفسه لرحمة الله بتقديم الأسباب **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ ﴾ الأعراف: ١٥٦ كما في تتمت هذه الآية. وهذا الباب يطول مسألة الإغترار برحمة الله والإتكال على نصوص الرجاء والإسرار على معصية الله ولمزيد من الفائدة يمكن العودة لكتاب الداء والدواء لابن قيم الجوزية رحمه الله. كما في حال الصحابة **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٢﴾ ﴾ آل عمران: ١٥٢ {وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ} إياكم بالنصر {إِذْ تَحُسُّونَهُم} تقتلونهم {بِإِذْنِهِۦ} بإرادته {حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ} جبنتم عن القتال {وَتَنَٰزَعْتُمْ} اختلفتم {فِى ٱلْأَمْرِ} أي أمر النبي صلى الله عليه وسلم بالمقام في سفح الجبل للرمي فقال بعضكم نذهب فقد نصر أصحابنا وبعضكم لا نخالف أمر النبي صلى الله عليه وسلم {وَعَصَيْتُم} أمره فتركتم المركز لطلب الغنيمة {مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم} الله {مَّا تُحِبُّونَ ۚ} من النصر وجواب إذا دل عليه ما قبله أي منعكم نصره {مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا} فترك المركز للغنيمة {وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْـَٔاخِرَةَ} فثبت به حتى قتل كعبد الله بن جبير وأصحابه {ثُمَّ صَرَفَكُمْ} عطف على جواب إذا المقدر ردكم للهزيمة {عَنْهُمْ} أي الكفار {لِيَبْتَلِيَكُمْ} ليمتحنكم فيظهر المخلص من غيره {وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ} ما ارتكبتموه {وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ} بالعفو.[1] {ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ} أي:

[1] جلال الدين المحلي وجلال الدين السيوطي، تفسير الجلالين، دار الحديث – القاهرة، ط: 01، ص87.

بعدما وجدت هذه الأمور منكم، صرف الله وجوهكم عنهم، فصار الوجه لعدوكم، ابتلاء من الله لكم وامتحانا، ليتبين المؤمن من الكافر، والطائع من العاصي، وليكفر الله عنكم بهذه المصيبة ما صدر منكم، فلهذا قال: {وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ} أي: ذو فضل عظيم عليهم، حيث منَّ عليهم بالإسلام، وهداهم لشرائعه، وعفا عنهم سيئاتهم، وأثابهم على مصيباتهم. ومن فضله على المؤمنين أنه لا يقدّر عليهم خيرا ولا مصيبة، إلا كان خيرا لهم. إن أصابتهم سراء فشكروا جازاهم جزاء الشاكرين، وإن أصابتهم ضراء فصبروا، جازاهم جزاء الصابرين.[1]

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا ۖ وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٥٥﴾ ﴾ آل عمران: ١٥٥

يخبر تعالى عن حال الذين انهزموا يوم "أحد" وما الذي أوجب لهم الفرار، وأنه من تسويل الشيطان، وأنه تسلط عليهم ببعض ذنوبهم. فهم الذين أدخلوه على أنفسهم، ومكنوه بما فعلوا من المعاصي، لأنها مركبه ومدخله، فلو اعتصموا بطاعة ربهم لما كان له عليهم من سلطان. قال تعالى: {إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ} ثم أخبر أنه عفا عنهم بعدما فعلوا ما يوجب المؤاخذة، وإلا فلو واخذهم لاستأصلهم. {إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ} للمذنبين الخطائين بما يوفقهم له من التوبة والاستغفار، والمصائب المكفرة، {حَلِيمٌ} لا يعاجل من عصاه، بل يستأني به، ويدعوه إلى الإنابة إليه، والإقبال عليه. ثم إن تاب وأناب قبل منه، وصيره كأنه لم يجر منه ذنب، ولم يصدر منه عيب، فلله الحمد على إحسانه.[2]

ومن عظيم سعة عفوه تعالى فقد أخبر الله جل وعلا نبيه وأمره بالعفو عنهم فقال تعالى ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ ﴾ آل عمران: ١٥٩

أي: برحمة الله لك ولأصحابك، منَّ الله عليك أن ألنت لهم جانبك، وخفضت لهم جناحك، وترققت عليهم، وحسنت لهم خلقك، فاجتمعوا عليك وأحبوك، وامتثلوا أمرك. {وَلَوْ كُنتَ فَظًّا} أي:

---

[1] تفسير السعدي، المصدر سبق ذكره، ص152.

[2] المصدر نفسه، ص153.

سيئ الخلق {غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ} أي: قاسيه، {لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَۖ} لأن هذا ينفرهم ويبغضهم لمن قام به هذا الخلق السيئ. فالأخلاق الحسنة من الرئيس في الدين، تجذب الناس إلى دين الله، وترغبهم فيه، مع ما لصاحبه من المدح والثواب الخاص، والأخلاق السيئة من الرئيس في الدين تنفر الناس عن الدين، وتبغضهم إليه، مع ما لصاحبها من الذم والعقاب الخاص، فهذا الرسول المعصوم يقول الله له ما يقول، فكيف بغيره؟! أليس من أوجب الواجبات، وأهم المهمات، الاقتداء بأخلاقه الكريمة، ومعاملة الناس بما يعاملهم به صلى الله عليه وسلم، من اللين وحسن الخلق والتأليف، امتثالا لأمر الله، وجذبا لعباد الله لدين الله. ثم أمره الله تعالى بأن يعفو عنهم ما صدر منهم من التقصير في حقه صلى الله عليه وسلم، ويستغفر لهم في التقصير في حق الله، فيجمع بين العفو والإحسان. {وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِۖ} أي: الأمور التي تحتاج إلى استشارة ونظر وفكر، فإن في الاستشارة من الفوائد والمصالح الدينية والدنيوية ما لا يمكن حصره: منها: أن المشاورة من العبادات المتقرب بها إلى الله. ومنها: أن فيها تسميحا لخواطرهم، وإزالة لما يصير في القلوب عند الحوادث...ثم قال تعالى: {فَإِذَا عَزَمْتَ} أي: على أمر من الأمور بعد الاستشارة فيه، إن كان يحتاج إلى استشارة {فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ} أي: اعتمد على حول الله وقوته، متبرئا من حولك وقوتك، {إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ} عليه، اللاجئين إليه.[1]

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٨٩﴾ ﴾ آل عمران: ٨٩ (إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ) الارتداد (وَأَصْلَحُواْ) بالإسلام ما كان قد أفسدوه من دينهم بالردة، وفيه دليل على قبول توبة المرتد إذا رجع إلى الإسلام مخلصاً، ولا خلاف في ذلك فيما أحفظ وقيل ضمّوا إلى التوبة الأعمال الصالحة لأن التوبة وحدها لا تكفي حتى يضاف إليها العمل الصالح، وقيل أصلحوا باطنهم مع الحق بالمراقبات، وظاهرهم مع الخلق بالعبادات والطاعات، والأول ألصق بظاهر الآية (فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ) لقبائحهم في الدنيا بالستر وقيل بإزالة العذاب (رَّحِيمٌ) في الآخرة بالعفو، وقيل بإعطاء الثواب.[2]

ففي هذه الآية استئناف لما قبلها من العقاب والعذاب وهي تثبت ما قررناه في الأول من أن مغرة الله ورحمته تمس كل تائب من الذنب توبة صحيحة نصوح.

---

[1] تفسير السعدي، المصدر سبق ذكره، ص154.

[2] محمد صديق خان، فتح البيان، المصدر سبق ذكره، ج02، ص280.

المبحث الثاني: بيان الحكم من المصيبة

فما حدث من مصائب وبلايا في هذه الدنيا فلحكمة من الله عز وجل، وهذه الحكم حتى يعلم الإنسان أن ما حدث له من مكروه وشر فهو لحكمة لا يعلمها إلا الله كما قال النبي صلى الله عليه وسلم فيما رواه مسلم عن علي بن أبي طالب " ...لبيك وسعديك والخير كله في يديك، والشر ليس إليك..."[1] وكما قال أبن قيم الجوزية رحمه الله في سياق ذكر هذه المسألة "وبالجملة فالكلمة الجامعة لهذا هى الكلمة التي أثنى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم على ربه حيث يقول: «و الشر ليس إليك» فالشر لا يضاف إلى من الخير بيديه، وإنما ينسب إلى المخلوق كقوله تعالى: قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ مِنْ شَرِّ ما خَلَقَ (الفلق: 1، 2) فأمره أن يستعيذ به من الشر الّذي في المخلوق..."[2]

فالشر لا ينسب إلى الله لأنه وقع لحكمة وعدل وماكان لحكمة وعدل لا يمكن أن يكون شرا وإنما فعله عزوجل كله خير وإن كان بالنسبة للإنسان شرا فهو بالنسبة لله خيرا، وما أصاب الإنسان من شر فهو من نفسه والشيطان **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ مَّآ أَصَابَكَ مِنۡ حَسَنَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٖ فَمِن نَّفۡسِكَۚ ٧٩ ﴾ النساء: ٧٩

قال تعالى: {مَّآ أَصَابَكَ مِنۡ حَسَنَةٖ} أي: في الدين والدنيا {فَمِنَ ٱللَّهِ} هو الذي من بها ويسرها بتيسير أسبابها. {وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٖ} في الدين والدنيا {فَمِن نَّفۡسِكَ} أي: بذنوبك وكسبك، وما يعفو الله عنه أكثر. فالله تعالى قد فتح لعباده أبواب إحسانه وأمرهم بالدخول لبره وفضله، وأخبرهم أن المعاصي مانعة من فضله، فإذا فعلها العبد فلا يلومن إلا نفسه فإنه المانع لنفسه عن وصول فضل الله وبره.[3]

قوله عز وجل: {مَّآ أَصَابَكَ مِنۡ حَسَنَةٖ} خير ونعمة {فَمِنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٖ} بلية أو أمر تكرهه، {فَمِن نَّفۡسِكَ} أي: بذنوبك، والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد غيره، نظيره قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ ﴾ الشورى: ٣٠

---

[1] صحيح مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه، رقم 771.

[2] ابن قيم الجوزية، مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية المعطلة، ت: رضوان جامع رضوان، دار الفكر – بيروت–، د ط، 1418هـ، ص259.

[3] تفسير السعدي، المصدر سبق ذكره، ص188.

وقيل: معنى الآية: ما أصابك من حسنة من النصر والظفر يوم بدر فمن الله، أي: من فضل الله، وما أصابك من سيئة من القتل والهزيمة يوم أحد فمن نفسك، أي: بذنب نفسك من مخالفة الرسول صلى الله عليه وسلم.[1]

والكلام في هذه المسألة يطول وبعض الفرق ظلت في هذه المسألة كالقدرة والجبرية لعملهم الظاهر بهذه الآية.

وقد أخبر الله عزوجل في سورة آل عمران عن بعض الحكم فيما حصل للصحابة رضوان الله عليهم من هزيمة وقتل، وقد حاولت جمع هذه الحكم في مطالب.

المطلب الأول: تمحيص المنافقين

وقد أخبر الله سبحانه وتعالى عن هذه الحكمة بلفظ صريح **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَمۡحَقَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ١٤١ ﴾ آل عمران: ١٤١

ومعنى التمحيص لغة محص: المِحْصُ: خُلُوصُ الشَيء، مَحَصْتُه مَحْصاً: خَلَّصْتُه من كلِّ عَيْب.[2]

قال أبو جعفر: يعني تعالى ذكره بقوله: " وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ "، وليختبرَ الله الذين صدَّقوا الله ورسوله، فيبتليهم بإدالة المشركين منهم، حتى يتبين المؤمن منهم المخلصَ الصحيحَ الإيمان، من المنافق... وأما قوله: " وَيَمۡحَقَ ٱلۡكَٰفِرِينَ "، فإنه يعني به: أنه ينقُّصهم ويفنيهم.[3]

{وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ} وهذا أيضا من الحكم أن الله يمحص بذلك المؤمنين من ذنوبهم وعيوبهم، يدل ذلك على أن الشهادة والقتال في سبيل الله يكفر الذنوب، ويزيل العيوب، وليمحص الله أيضا المؤمنين من غيرهم من المنافقين، فيتخلصون منهم، ويعرفون المؤمن من المنافق، ومن الحكم

---

[1] تفسير البغوي، المصدر سبق ذكره، ج02، 252-253.

[2] الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، ت د مهدي المخزومي ود إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، ج03، ص127.

[3] تفسير الطبري، المصدر سبق ذكره، ج07، ص245.

أيضا أنه يقدر ذلك، ليمحق الكافرين، أي: ليكون سببا لمحقهم واستئصالهم بالعقوبة، فإنهم إذا انتصروا، بغوا، وازدادوا طغيانا إلى طغيانهم، يستحقون به المعاجلة بالعقوبة، رحمة بعباده المؤمنين.[1]

ففي معنى التمحيص في هذه الآية فسر على معاني قال القرطبي رحمه الله: " فيه ثلاثة أقوال: يمحص: يختبر. الثاني- يطهر، أي من ذنوبهم فهو على حذف مضاف. المعنى: وليمحص الله ذنوب الذين آمنوا، قاله الفراء. الثالث- يمحص يخلص، فهذا أغربها. قال الخليل: يقال محصى الحبل يمحص محصا إذا انقطع وبره، ومنه (اللهم محص عنا ذنوبنا) أي خلصنا من عقوبتها."[2] ويضاف للمعاني التي ذكرها القرطبي رحمه الله معني تخليص المؤمنين من المنافقين وتصفية صفوف المؤمنين من غير المؤمنين.

وفي الآية التي سبقت هذه الآية: **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ وَلِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ آل عمران: ١٤٠ {وَلِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ} هذا أيضا من الحكم أنه يبتلي الله عباده بالهزيمة والابتلاء، ليتبين المؤمن من المنافق؛ لأنه لو استمر النصر للمؤمنين في جميع الوقائع لدخل في الإسلام من لا يريده، فإذا حصل في بعض الوقائع بعض أنواع الابتلاء، تبين المؤمن حقيقة الذي يرغب في الإسلام، في الضراء والسراء، واليسر والعسر، ممن ليس كذلك.[3]

المطلب الثاني: الاستشهاد

فمن أعظم الحكم في الخاسرة أو الموت في سبيل الله الشهادة فمن مات من الصحابة فله الشهادة في سبيل الله والتي هي أعظم مراتب الشهادة، قال ابن القيم رحمه الله مبينا فضل الجهاد والشهادة في سبيل الله :"...وأقام سوق الجهاد في هذه الدار في مدة العمر التي هي بالإضافة إلى الآخرة كنفس واحد من أنفاسها، واشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة، يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون، وأخبر أن ذلك وعد مؤكد عليه في أشرف كتبه، وهي التوراة والإنجيل والقرآن، وأخبر أنه لا أوفى بعهده منه سبحانه، ثم أمرهم أن يستبشروا بهذه الصفقة التي من أراد أن يعرف قدرها فلينظر إلى المشتري من هو؟ وإلى الثمن المبذول في هذه السلعة، وإلى من جرى على

---

[1] تفسير السعدي، المصدر سبق ذكره، ص150.

[2] تفسير القرطبي، المصدر سبق ذكره، ج04، ص220

[3] المصدر السابق، ص149.

يديه هذا العقد، فأي فوز أعظم من هذا؟ وأي تجارة أربح منه؟ ثم أكد سبحانه معهم هذا الأمر بقوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ۝١٠ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ۝١١ يَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡ وَيُدۡخِلۡكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ۝١٢ وَأُخۡرَىٰ تُحِبُّونَهَاۖ نَصۡرٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتۡحٞ قَرِيبٞۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ۝١٣ ﴾ [سورة الصف: 10 - 13]. ولم يسلط سبحانه هذا العدو على عبده المؤمن الذي هو أحب المخلوقات إليه، إلا لأن الجهاد أحب شيء إليه، وأهله أرفع الخلق عنده درجات، وأقربهم إليه وسيلة، فعقد سبحانه لواء هذه الحرب لخلاصة مخلوقاته، وهو القلب الذي محل معرفته ومحبته، وعبوديته والإخلاص له، والتوكل عليه والإنابة إليه، فولاه أمر هذه الحرب، وأيده بجند من الملائكة لا يفارقونه ﴿ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٞ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۗ ﴾ [سورة الرعد: 11]. يعقب بعضهم بعضا، كلما ذهب بدل جاء بدل آخر يثبتونه ويأمرونه بالخير ويحضونه عليه، ويعدونه بكرامة الله ويصبرونه، ويقولون: إنما هو صبر ساعة وقد استرحت راحة الأبد".[1]

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَيَتَّخِذَ مِنكُمۡ شُهَدَآءَۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝١٤٠ ﴾ آل عمران: ١٤٠

{وَيَتَّخِذَ مِنكُمۡ شُهَدَآءَ} وهذا أيضا من بعض الحكم، لأن الشهادة عند الله من أرفع المنازل، ولا سبيل لنيلها إلا بما يحصل من وجود أسبابها، فهذا من رحمته بعباده المؤمنين، أن قيض لهم من الأسباب ما تكرهه النفوس، لينيلهم ما يحبون من المنازل العالية والنعيم المقيم، {وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ} الذين ظلموا أنفسهم، وتقاعدوا عن القتال في سبيله، وكأن في هذا تعريضا بذم المنافقين، وأنهم مبغضون لله، ولهذا ثبطهم عن القتال في سبيله. ﴿ وَلَوۡ أَرَادُواْ ٱلۡخُرُوجَ لَأَعَدُّواْ لَهُۥ عُدَّةٗ وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمۡ فَثَبَّطَهُمۡ وَقِيلَ ٱقۡعُدُواْ مَعَ ٱلۡقَٰعِدِينَ ۝٤٦ ﴾.[2]

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا يَعۡلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمۡ وَيَعۡلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ۝١٤٢ وَلَقَدۡ كُنتُمۡ تَمَنَّوۡنَ ٱلۡمَوۡتَ مِن قَبۡلِ أَن تَلۡقَوۡهُ فَقَدۡ رَأَيۡتُمُوهُ وَأَنتُمۡ تَنظُرُونَ ۝١٤٣ ﴾ آل عمران: ١٤٢ – ١٤٣

{أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا يَعۡلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمۡ وَيَعۡلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ} هذا استفهام إنكاري، أي: لا تظنوا، ولا يخطر ببالكم أن تدخلوا الجنة من دون مشقة واحتمال المكاره في سبيل

---

[1] ابن قيم الجوزية، كتاب الداء والدواء، المصدر سبق ذكره، ص96.

[2] تفسير السعدي، المصدر سبق ذكره، ص149.

الله وابتغاء مرضاته، فإن الجنة أعلى المطالب، وأفضل ما به يتنافس المتنافسون، وكلما عظم المطلوب عظمت وسيلته، والعمل الموصل إليه، فلا يوصل إلى الراحة إلا بترك الراحة، ولا يدرك النعيم إلا بترك النعيم، ولكن مكاره الدنيا التي تصيب العبد في سبيل الله عند توطين النفس لها، وتمرينها عليها ومعرفة ما تئول إليه، تنقلب عند أرباب البصائر منحا يسرون بها، ولا يبالون بها، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء. ثم وبخهم تعالى على عدم صبرهم بأمر كانوا يتمنونه ويودون حصوله، فقال: {وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ ٱلْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ} وذلك أن كثيرا من الصحابة رضي الله عنهم ممن فاته بدر يتمنون أن يحضرهم الله مشهدا يبذلون فيه جهدهم، قال الله [تعالى] لهم: {فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ} أي: رأيتم ما تمنيتم بأعينكم {وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ} فما بالكم وترك الصبر؟ هذه حالة لا تليق ولا تحسن، خصوصا لمن تمنى ذلك، وحصل له ما تمنى، فإن الواجب عليه بذل الجهد، واستفراغ الوسع في ذلك. وفي هذه الآية دليل على أنه لا يكره تمني الشهادة، ووجه الدلالة أن الله تعالى أقرهم على أمنيتهم، ولم ينكر عليهم، وإنما أنكر عليهم عدم العمل بمقتضاها، والله أعلم.[1]

ومن حكمه عز وجل أنه ابتلاهم ليعرف مدى صدق دعواهم في طلب الشهادة، ومن حكمه أيضا إتخاذ الشهداء من عباده المؤمنيين.

المطلب الثالث: المداولة

فمن سنن الله في الكون أن النصر والغلبة في هذه الله ليست قائمة طرف دون طرف وإنما هيا مداولة مرة ومرة والله عز وجل وضع أسباب للنصرة فالمسلمين متى امتثلوا واتبعوا أوامره نصرهم الله على عدوهم وأعزهم الله، وكما قال عمر رضي الله عنه: نحن قوم أعزنا الله بالإسلام فإذا التمسنا العزة بغيرة أذلنا الله. وكما قال النبي صلى الله عليه وسلم من حديث ابن مسعود رضي الله عنه: " إِنَّ اللهَ قَسَمَ بَيْنَكُمْ أَخْلَاقَكُمْ، كَمَا قَسَمَ بَيْنَكُمْ أَرْزَاقَكُمْ، وَإِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يُعْطِي الدُّنْيَا مَنْ يُحِبُّ وَمَنْ لَا يُحِبُّ، وَلَا يُعْطِي الدِّينَ إِلَّا لِمَنْ أَحَبَّ، فَمَنْ أَعْطَاهُ اللهُ الدِّينَ، فَقَدْ أَحَبَّهُ...".[2]

[1] المصدر نفسه، ص150.

[2] مسند الإمام أحمد، المصدر سبق ذكره، رقم 3672. صححه الشيخ الألباني السلسلة الصحيحة، رقم 2714.

وهذا الكلام لا يعتبر طعنا في الصحابة وإنما هو بيان عام لأسباب النصرة فالصحابة رضي الله عنهم لما خالفوا امر النبي صلى الله عليه وسلم حدث ما حدث بإذن الله ولحكمة من الله.

فقد أتت صريحة في سورة آل عمران بعد عرض المسألة وبين أن ما مس الصحابة قد مس الكفار قال تعالى: ﴿ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ ﴾ آل عمران: ١٤٠

{فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ} فأنتم وإياهم قد تساويتم في القرح، ولكنكم ترجون من الله ما لا يرجون كما قال تعالى: {إِن تَكُونُواْ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ ۖ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ}. ومن الحكم في ذلك أن هذه الدار يعطي الله منها المؤمن والكافر، والبر والفاجر، فيداول الله الأيام بين الناس، يوم لهذه الطائفة، ويوم للطائفة الأخرى؛ لأن هذه الدار الدنيا منقضية فانية، وهذا بخلاف الدار الآخرة، فإنها خالصة للذين آمنوا.[1]

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَا تَهِنُواْ فِى ٱبْتِغَآءِ ٱلْقَوْمِ ۖ إِن تَكُونُواْ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ ۖ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٠٤﴾ ﴾ النساء: ١٠٤

وقوله: {وَلَا تَهِنُواْ فِى ٱبْتِغَآءِ ٱلْقَوْمِ} أي: لا تضعفوا في طلب عدوكم، بل جدوا فيهم وقاتلوهم، واقعدوا لهم كل مرصد: {إِن تَكُونُواْ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ} أي: كما يصيبكم الجراح والقتل، كذلك يحصل لهم، كما قال **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ﴾ [آل عمران: 140]. ثم قال: {وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ} أي: أنتم وإياهم سواء فيما يصيبكم وإياهم من الجراح والآلام، ولكن أنتم ترجون من الله المثوبة والنصر والتأييد، وهم لا يرجون شيئا من ذلك، فأنتم أولى بالجهاد منهم، وأشد رغبة في إقامة كلمة الله وإعلائها. {وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا} أي: هو أعلم وأحكم فيما يقدره ويقضيه، وينفذه ويمضيه، من أحكامه الكونية والشرعية، وهو المحمود على كل حال.[2]

---

[1] تفسير السعدي، المصدر سبق ذكره، ص150.

[2] تفسير ابن كثير، المصدر سبق ذكره، ج02، ص404.

قال السعدي رحمه الله في تفسير هذه الآية كلام رائع وفيه بعض من التفصيل: لا تضعفوا ولا تكسلوا في ابتغاء عدوكم من الكفار، أي: في جهادهم والمرابطة على ذلك، فإن وهن القلب مستدع لوهن البدن، وذلك يضعف عن مقاومة الأعداء. بل كونوا أقوياء نشيطين في قتالهم. ثم ذكر ما يقوي قلوب المؤمنين، فذكر شيئين:

الأول: أن ما يصيبكم من الألم والتعب والجراح ونحو ذلك فإنه يصيب أعداءكم، فليس من المروءة الإنسانية والشهامة الإسلامية أن تكونوا أضعف منهم، وأنتم وإياهم قد تساويتم فيما يوجب ذلك، لأن العادة الجارية لا يضعف إلا من توالت عليه الآلام وانتصر عليه الأعداء على الدوام، لا من يدال مرة، ويدال عليه أخرى.

الأمر الثاني: أنكم ترجون من الله ما لا يرجون، فترجون الفوز بثوابه والنجاة من عقابه، بل خواص المؤمنين لهم مقاصد عالية وآمال رفيعة من نصر دين الله، وإقامة شرعه، واتساع دائرة الإسلام، وهداية الضالين، وقمع أعداء الدين، فهذه الأمور توجب للمؤمن المصدق زيادة القوة، وتضاعف النشاط والشجاعة التامة؛ لأن من يقاتل ويصبر على نيل عزه الدنيوي إن ناله، ليس كمن يقاتل لنيل السعادة الدنيوية والأخروية، والفوز برضوان الله وجنته، فسبحان من فاوت بين العباد وفرق بينهم بعلمه وحكمته، ولهذا قال: {وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا} كامل العلم كامل الحكمة.[1]

المطلب الرابع: الابتلاء والاختبار

فمن أعظم الحكم التي تستفاد من المصائب هي الابتلاء فالإنسان مهما تصيبه من مصيبة فهي ابتلاء له **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةًۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ الأنبياء: ٣٥ كل نفس ذائقة الموت لا محالة مهما عُمِّرت في الدنيا. وما وجودها في الحياة إلا ابتلاء بالتكاليف أمرًا ونهيًا، وبتقلب الأحوال خيرًا وشرًا، ثم المآل والمرجع بعد ذلك إلى الله – وحده – للحساب والجزاء.[2]

---

[1] تفسير السعدي، المصدر سبق ذكره، ص199.

[2] التفسير الميسر، المصدر سبق ذكره، ص324.

(كُلُّ نَفْسٍ) مخلوقة فلا يراد الباري تعالى: (ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ) أي ذائقة مرارة مفارقة جسدها فلا يبقى أحد من ذوات الأنفس المخلوقة كائناً ما كان (وَنَبْلُوكُمْ) أي نختبركم (بِٱلشَّرِّ) أي بالشدة (وَٱلْخَيْرِ) أي الرخاء (فِتْنَةً) مصدر لنبلوكم من غير لفظه لأن الابتلاء فتنة فكأنه قال: نفتنكم فتنة أو مفعول له أي لننظر كيف شكركم وصبركم، والمراد أنه سبحانه يعاملهم معاملة من يبلوهم فالله لا يخفى عليه شيء. (وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ) لا إلى غيرنا لا استقلالاً ولا اشتراكاً فنجازيكم بأعمالكم حسبما يظهر منكم إن خيراً فخير وإن شراً فشر، وفيه إشارة إلى أن المقصود من هذه الحياة الدنيا الابتلاء والتعريض للثواب والعقاب.[1]

فالابتلاء يكون في النعم كما يكون في النقم فقال جل وعلا ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾ الأنفال: ٢٨ فالأموال والأولاد من أعظم النعم وأجلها كما قال تعالى ﴿ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾﴾ الكهف: ٤٦ ومع ذلك قال تعالى في الآية 28 من الأنفال وصفهم بقوله فتنة. أمر تعالى الناس في هذه الآية الكريمة (الأنفال: ٢٨) أن يعلموا: أن أموالهم وأولادهم فتنة يختبرون بها، هل يكون المال والولد سببا للوقوع فيما لا يرضي الله؟ وزاد في موضع آخر أن الأزواج فتنة أيضا، كالمال والولد، فأمر الإنسان بالحذر منهم أن يوقعوه فيما لا يرضي الله، ثم أمره إن اطلع على ما يكره من أولئك الأعداء الذين هم أقرب الناس له وأخصهم به وهم الأولاد والأزواج – أن يعفو عنهم ويصفح ولا يؤاخذهم فيحذر منهم أولا ويصفح عنهم إن وقع منهم بعض الشيء...[2]

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ ٱلْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿١٤٣﴾ ﴾ آل عمران: ١٤٣ أنكر الله في هذه الآية على من ظن أنه يدخل الجنة دون أن يبتلى بشدائد التكاليف التي يحصل بها الفرق بين الصابر المخلص في دينه، وبين غيره وأوضح هذا المعنى في آيات متعددة كقوله: أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا إن نصر الله قريب... وفي هذه الآيات سر لطيف وعبرة وحكمة،

---

[1] محمد صديق خان، فتح البيان، المصدر سبق ذكره، ج08، ص 325.

[2] محمد أمين الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، دار الفكر، بيروت – لبنان، د ط، 1415 هـ - 1995 م، ج02، ص52.

وذلك أن أبانا آدم كان في الجنة يأكل منها رغدا حيث شاء في أتم نعمة وأكمل سرور، وأرغد عيش. كما قال له ربه: إن لك ألا تجوع فيها ولا تعرى وأنك لا تظمأ فيها ولا تضحى، لو تناسلنا فيها لكنا في أرغد عيش وأتم نعمة، ولكن إبليس عليه لعائن الله احتال بمكره وخداعه على أبوينا حتى أخرجهما من الجنة، إلى دار الشقاء والتعب. وحينئذ حكم الله تعالى أن جنته لا يدخلها أحد إلا بعد الابتلاء بالشدائد وصعوبة التكاليف. فعلى العاقل منا معاشر بني آدم أن يتصور الواقع ويعلم أننا في الحقيقة سبي سباه إبليس بمكره وخداعه من وطنه الكريم إلى دار الشقاء والبلاء، فيجاهد عدوه إبليس ونفسه الأمارة بالسوء حتى يرجع إلى الوطن الأول الكريم، كما قال ابن القيم: ولكننا سبي العدو فهل ترى ... نرد إلى أوطاننا ونسلم، لهذه الحكمة أكثر الله تعالى في كتابه من ذكر قصة إبليس مع آدم لتكون نصب أعيننا دائما.[1]

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ ﴾ آل عمران: ١٤٤

ولما انتشر بين الصحابة في غزوة أحد أن الرسول صلى الله عليه سلم قد مات ضعف بعضهم وتولى بعضهم الآخر وذكر ابن قيم الجوزية رحمه الله حكما في ذلك فقال: ".. ومنها: أن وقعة أحد كانت مقدمة وإرهاصا بين يدي موت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فثبتهم ووبخهم على انقلابهم على أعقابهم إن مات رسول الله صلى الله عليه وسلم أو قتل، بل الواجب له عليهم أن يثبتوا على دينه وتوحيده ويموتوا عليه أو يقتلوا، فإنهم إنما يعبدون رب محمد، وهو حي لا يموت، فلو مات محمد أو قتل لا ينبغي لهم أن يصرفهم ذلك عن دينه، وما جاء به، فكل نفس ذائقة الموت، وما بعث محمد صلى الله عليه وسلم ليخلد لا هو ولا هم، بل ليموتوا على الإسلام والتوحيد، فإن الموت لا بد منه سواء مات رسول الله صلى الله عليه وسلم أو بقي، ولهذا وبخهم على رجوع من رجع منهم عن دينه، لما صرخ الشيطان إن محمدا قد قتل، فقال: { وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ } [آل عمران: 144] ، والشاكرون هم الذين عرفوا قدر النعمة، فثبتوا عليها حتى ماتوا أو قتلوا، فظهر أثر هذا العتاب، وحكم هذا الخطاب يوم مات رسول الله صلى الله عليه وسلم، وارتد من ارتد

[1] المصدر نفسه، ج01، ص210.

على عقبيه، وثبت الشاكرون على دينهم، فنصرهم الله وأعزهم، وظفرهم بأعدائهم، وجعل العاقبة لهم".[1]

قال محمد رشيد رضا في تفسيره لهذه الآية بعد ذكر كلام ابن القيم السابق:" ولا ينافي هذه الحكمة كون الوقعة كانت قبل وفاته – صلى الله عليه وسلم – ببضع سنين – لأن غزوة أحد كانت في السنة الثالثة من الهجرة – فإن توطين نفس الأمة الكبيرة على الشيء وإعدادها له لا يكون قبل وقوعه بيوم أو أيام أو شهور بل لا بد فيه من زمن يكفي لتعميمه فيها وصيرورته من الأمور المسلمة المشهورة عندها حتى لا يغيب عن الأذهان. وحاصل المعنى أن محمدا ليس إلا بشرا رسولا قد خلت ومضت الرسل من قبله فماتوا ...إذ لا بقاء إلا لله وحده، ولا ينبغي للمؤمن الموحد أن يعتقده لغيره، أفإن مات كما مات موسى وعيسى، أو قتل كما قتل زكريا ويحيى تنقلبون على أعقابكم، أي تولون الدبر راجعين عما كان عليه، يهديهم الله بهذا إلى أن الرسول ليس مقصودا لذاته فيبقى للناس، وإنما المقصود من إرساله ما أرسل به من الهداية فيجب العمل بها من بعده، كما وجب في عهده، ولله در أنس بن النضر ورضي عنه فإنه في تلك الساعة التي زاغت فيها الأبصار والبصائر، واشتد الكرب حتى بلغت القلوب الحناجر، وقال بعض الضعفاء والمنافقين ما قالوا، قد قال: " يا قوم إن محمد قتل فإن رب محمد لم يقتل فقاتلوا على ما قاتل عليه محمد – صلى الله عليه وسلم –، اللهم إني أعتذر إليك مما يقول هؤلاء، وأبرأ إليك مما جاء به هؤلاء " ثم شد بسيفه وقاتل حتى قتل.[2]

وقال تعالى أيضا: ﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٢﴾ ﴾ آل عمران: ١٥٢ ولقد حقق الله لكم ما وعدكم به من نصر، حين كنتم تقتلون الكفار في غزوة «أُحد» بإذنه تعالى، حتى إذا جَبُنتم وضعفتم عن القتال واختلفتم: هل تبقون في مواقعكم أو تتركونها لجمع الغنائم مع مَن يجمعها؟ وعصيتم أمر رسولكم حين أمركم ألا تفارقوا أماكنكم بأي حال، حلَّت بكم الهزيمة من بعد ما أراكم ما تحبون من النصر، وتبيَّن أن منكم مَن يريد الغنائم، وأن منكم مَن

---

[1] ابن القيم الجوزية، زاد المعاد في هدي خير العباد، مؤسسة الرسالة، بيروت – مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، ط: 27، 1415هـ /1994م، ج03، ص 201.

[2] محمد رشيد رضا، تفسير المنار، المصدر سبق ذكره، ج04، ص132-133، بتصرف.

يطلب الآخرة وثوابها، ثم صرف الله وجوهكم عن عدوكم؛ ليختبركم، وقد علم الله ندمكم وتوبتكم فعفا عنكم، والله ذو فضل عظيم على المؤمنين.[1]

وكما قال تعالى مصرحا بذلك: ﴿ لَتُبْلَوُنَّ فِيٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ أَذًى كَثِيرًا ۚ وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٨٦﴾﴾ آل عمران: ١٨٦ فهذه الآية صرحت بمسألة إبتلاء الله لعباده، وكما قال الشيخ عبد الرحمان السعدي رحمه الله:" يخبر تعالى ويخاطب المؤمنين أنهم سيبتلون في أموالهم من النفقات الواجبة والمستحبة، ومن التعريض لإتلافها في سبيل الله، وفي أنفسهم من التكليف بأعباء التكاليف الثقيلة على كثير من الناس، كالجهاد في سبيل الله، والتعرض فيه للتعب والقتل والأسر والجراح، وكالأمراض التي تصيبه في نفسه، أو فيمن يحب. {وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ أَذًى كَثِيرًا} من الطعن فيكم، وفي دينكم وكتابكم ورسولكم. وفي إخباره لعباده المؤمنين بذلك، عدة فوائد:

منها: أن حكمته تعالى تقتضي ذلك، ليتميز المؤمن الصادق من غيره. ومنها: أنه تعالى يقدر عليهم هذه الأمور، لما يريده بهم من الخير ليعلي درجاتهم، ويكفر من سيئاتهم، وليزداد بذلك إيمانهم، ويتم به إيقانهم، فإنه إذا أخبرهم بذلك ووقع كما أخبر ﴿ قَالُواْ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴾. ومنها: أنه أخبرهم بذلك لتتوطن نفوسهم على وقوع ذلك، والصبر عليه إذا وقع؛ لأنهم قد استعدوا لوقوعه، فيهون عليهم حمله...ويلجؤون إلى الصبر والتقوى، ولهذا قال: {وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ} أي: إن تصبروا على ما نالكم في أموالكم وأنفسكم، من الابتلاء والامتحان وعلى أذية الظالمين، وتتقوا الله في ذلك الصبر بأن تنووا به وجه الله والتقرب إليه، ولم تتعدوا في صبركم الحد الشرعي من الصبر في موضع لا يحل لكم فيه الاحتمال، بل وظيفتكم فيه الانتقام من أعداء الله. {فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ} أي: من الأمور التي يعزم عليها، وينافس فيها، ولا يوفق لها إلا أهل العزائم والهمم العالية كما قال تعالى: ﴿ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾ ".[2]

[1] التفسير الميسر، المصدر سبق ذكره، ص69.

[2] تفسير السعدي، المصدر سبق ذكره، ص160.

المبحث الثالث: ذكر المكتسبات

ففي هذا المبحث سنبين بإذن الله المكتسبات التي اكتسب المؤمنين من الخسارة التي حدثت في غزوة أحد وبهذا يخف آلام الإنسان فيتواسى المصاب عما ما أصابه، لأنه يتبين له أن ما أصابه قد استفاد منه وحصل مكتسبات فيخف ذاك الألم وقد يختفي ذلك الألم بالكلية.

المطلب الأول: بيان أسباب النصر

فالنصر له أسباب ذكرها الله عزوجل في كتابه والتي من أعظمها الإيمان فالنصر بإذن الله أولا وأخيرا، **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشۡرَىٰ لَكُمۡ وَلِتَطۡمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦۚ وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ١٢٦ ﴾ آل عمران: ١٢٦ {وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ } أي: إمداده لكم بالملائكة {إِلَّا بُشۡرَىٰ} تستبشرون بها وتفرحون {وَلِتَطۡمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦۚ وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ} فلا تعتمدوا على ما معكم من الأسباب، بل الأسباب فيها طمأنينة لقلوبكم، وأما النصر الحقيقي الذي لا معارض له، فهو مشيئة الله لنصر من يشاء من عباده، فإنه إن شاء نصر من معه الأسباب كما هي سنته في خلقه، وإن شاء نصر المستضعفين الأذلين ليبين لعباده أن الأمر كله بيديه، ومرجع الأمور إليه، ولهذا قال {عِندِ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ} فلا يمتنع عليه مخلوق، بل الخلق كلهم أذلاء مدبرون تحت تدبيره وقهره {ٱلۡحَكِيمِ} الذي يضع الأشياء مواضعها، وله الحكمة في إدالة الكفار في بعض الأوقات على المسلمين إدالة غير مستقرة، قال تعالى: {وَلَوۡ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنۡهُمۡ وَلَٰكِن لِّيَبۡلُوَاْ بَعۡضَكُم بِبَعۡضٖۗ} .[1]

فالأمور كلها بيد الله **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ ١٠٩ ﴾ آل عمران: ١٠٩ ولله ما في السموات وما في الأرض، ملكٌ له وحده خلقًا وتدبيرًا، ومصير جميع الخلائق إليه وحده، فيجازي كلا على قدر استحقاقه.[2]

كما **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٢٦ ﴾ آل عمران: ٢٦ فالملك والعز والذل بيد

---

[1] تفسير السعدي، المصدر سبق ذكره، ص146.

[2] التفسير الميسر، المصدر سبق ذكره، 64.

الله يعطيه من يشاء وينزعه ممن يشاء. ومعنى الآية كما في التفسير الميسر: " قل -أيها النبي متوجها إلى ربك بالدعاء-: يا مَن لك الملك كلُّه، أنت الذي تمنح الملك والمال والتمكين في الأرض مَن تشاء مِن خلقك، وتسلب الملك ممن تشاء، وتهب العزة في الدنيا والآخرة مَن تشاء، وتجعل الذلَّة على من تشاء، بيدك الخير، إنك -وحدك- على كل شيء قدير. وفي الآية إثبات لصفة اليد لله تعالى على ما يليق به سبحانه".[1]

وكذلك فإن الله عز وجل وإن كان كل شيء بإذنه مشيئته فإنه قد جعل لكل شيء سبب **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿بَلَىٰٓ إِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأۡتُوكُم مِّن فَوۡرِهِمۡ هَٰذَا يُمۡدِدۡكُمۡ رَبُّكُم بِخَمۡسَةِ ءَالَٰفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ١٢٥﴾ آل عمران: ١٢٥

فقد جعل الله عز وجل الإمداد بالملائكة متعلق بالصبر والتقوى قال الطبري رحمه الله: "وقال آخرون: إن الله عز وجلّ: إنما وعدهم يوم بدر أن يمدَّهم إن صبروا عند طاعته وجهاد أعدائه، واتقوه باجتناب محارمه، أن يمدهم في حروبهم كلها، فلم يصبروا ولم يتقوا إلا في يوم الأحزاب، فأمدَّهم حين حاصروا قريظة... وقال آخرون بنحو هذا المعنى، غير أنهم قالوا: لم يصبر القوم ولم يتقوا ولم يُمدوا بشيء في أحُد".[2]

وذلك بعد أن ذكر بعض الأقوال الأخرى ثم رجح بقوله: قال أبو جعفر: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله أخبرَ عن نبيه محمد صلى الله عليه وسلم أنه قال للمؤمنين: ألن يكفيَكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة؟ فوعدهم الله بثلاثة آلاف من الملائكة مددًا لهم، ثم وعدهم بعد الثلاثة الآلاف، خمسة آلاف إن صبروا لأعدائهم واتقوا الله. ولا دلالة في الآية على أنهم أمدوا بالثلاثة آلاف، ولا بالخمسة آلاف، ولا على أنهم لم يمدوا بهم. وقد يجوز أن يكون الله عز وجل أمدهم، على نحو ما رواه الذين أثبتوا أنه أمدهم = وقد يجوز أن يكون لم يمدهم على نحو الذي ذكره من أنكر ذلك. ولا خبر عندنا صحَّ من الوجه الذي يثبت أنهم أمِدوا بالثلاثة الآلاف ولا بالخمسة الآلاف. وغير جائز أن يقال في ذلك قولٌ إلا بخبر تقوم الحجة به. ولا خبر به كذلك، فنسلم لأحد الفريقين قوله. غير أنّ في القرآن دلالةً على أنهم قد أمدوا يوم بدر بألف من الملائكة،

---

[1] التفسير الميسر، المصدر سبق ذكره، ص53.

[2] تفسير الطبري، المصدر سبق ذكره، ج07، 178.

وذلك قوله: ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾ ﴾ [سورة الأنفال: 9] فأما في يوم أحُد، فالدلالة على أنهم لم يمدوا أبينُ منها في أنهم أمدوا. وذلك أنهم لو أمدوا لم يهزموا، ويُنالَ منهم ما نيل منهم. فالصواب فيه من القول أن يقال كما قال تعالى ذكره.[1]

وكذلك قال في آيات أخرى أمر بالصبر والمصابرة والمرابط والتقوى **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾ ﴾ آل عمران: ٢٠٠ فأمرهم بالصبر، وهو حال الصابر في نفسه. والمصابرة: مقاومة الخصم في ميدان الصبر، فإنها مفاعلة، تستدعي وقوفها بين اثنين، كالمشاتمة والمضاربة- فهي حال المؤمن في الصبر مع خصمه. والمرابطة، وهي الثبات واللزوم، والإقامة على الصبر والمصابرة. فقد يصبر العبد ولا يصابر، وقد يصابر ولا يرابط. وقد يصبر ولا يصابر، ويرابط من غير تعبد بالتقوى. فأخبر سبحانه أن ملاك ذلك كله: التقوى، وأن الفلاح موقوف عليها. فقال وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ. فالمرابطة كما أنها لزوم الثغر الذي يخاف هجوم العدو منه في الظاهر، فهي لزوم ثغر القلب لئلا يدخل منه الهوى والشيطان، فيزيله عن مملكته.[2]

ففي هذه الآيات أمر الله جل وعلا بتقديم الأسباب المعنوية والتي هي ملاك الأمر كله وهي أعظم الأسباب وقد أمر في مواضع أخرى بتقديم الأسباب الظاهرة والتي لابد منها كما هو معلوم وإن كانت الأسباب الإيمانية كالتقوى والصبر هي أعظم أسباب النصر إلا أن الله عز وجل جعل كذلك الأمور الأخرى كما قال جل وعلا ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ﴾ الأنفال: ٦٠.

ثم أمر تعالى بإعداد آلات الحرب لمقاتلتهم حسب الطاقة والإمكان والاستطاعة، فقال: { وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم } أي: مهما أمكنكم، { مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ } قال الإمام أحمد: حدثنا هارون بن معروف، حدثنا ابن وهب، أخبرني عمرو بن الحارث، عن أبي علي ثمامة بن شفي، أنه سمع عقبة بن عامر يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وهو على المنبر: {وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا

---

[1] تفسير الطبري، المصدر سبق ذكره، ج07، 180-181.

[2] التفسير القيم، المصدر سبق ذكره، ص221.

ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ} ألا إن القوة الرمي"[1] ... منها ما رواه الترمذي، من حديث صالح بن كيسان، عن رجل، عنه وروى الإمام أحمد وأهل السنن، عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ارموا واركبوا، وأن ترموا خير من أن تركبوا"[2] ... وقوله: "ترهبون" أي: تخوفون {بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمۡ} أي: من الكفار {وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمۡ} قال مجاهد: يعني: قريظة، وقال السدي: فارس، وقال سفيان الثوري: قال ابن يمان: هم الشياطين التي في الدور. وقد ورد حديث بمثل ذلك، قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو عتبة أحمد بن الفرج الحمصي، حدثنا أبو حيوة -يعني: شريح بن يزيد المقرئ -حدثنا سعيد بن سنان، عن ابن عريب -يعني: يزيد بن عبد الله بن عريب -عن أبيه، عن جده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول في قوله: {وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمۡ لَا تَعۡلَمُونَهُمُ} قال: "هم الجن"...[3]

وكما قال النبي صلى الله عليه وسلم عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «المؤمن القوي، خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيء، فلا تقل لو أني فعلت كان كذا وكذا، ولكن قل قدر الله وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان».[4] فهذه القوة التي نص عليها الحديث تشمل القوة الإيمانية والقوة الجسدية ولأن كلاهما من كان في كل خير. فقد بين الله عز وجل أن النصر بيده تعالى وكذلك أمرهم باتخاذ الأسباب المعنوية من قوة الإيمان والصبر والتقوى وغيرها وكذلك باتخاذ الأسباب الحسية وأن النصر غير متعلق بأحد ولو كان عظيم القدر عند الله فقد قال لنبيه صلى الله عليه وسلم ﴿لَيۡسَ لَكَ مِنَ ٱلۡأَمۡرِ شَيۡءٌ﴾ آل عمران: ١٢٨ فالنصر ليس بيد النبي صلى الله عليه وسلم فقد هزموا وهو حاضر بين أيديهم، فالنصر بيد الله والأمر كله لله.

---

[1] صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب فضل الرمي، رقم، 1917.

[2] مسند الإمام الأحمد، مسند الشاميين، حديث عقبة بن عامر الجهمي، رقم 17337.

[3] تفسير ابن كثير، المصدر سبق ذكره، ج04، ص80-82.

[4] صحيح مسلم، كتاب القدر، باب في الأمر بالقوة وترك العجز، 2664.

المطلب الثاني: الشهداء في الجنة

فإن من أعظم المكاسب التي قد يكتسبها المؤمن ويسعى لاكتسابها هي الشهادة في سبيل الله

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ ﴾ آل عمران: ١٦٩ – ١٧٠ واختلفوا فيمن نزلت على ثلاثة أقوال: أحدها: أنها نزلت في شهداء أُحد. روى ابن عباس عن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم أنه قال: «لما أصيب إخوانكم بأحد، جعل الله أرواحهم في أجواف طير خضر، ترد أنهار الجنة، وتأكل من ثمارها، وتأوي إلى قناديل من ذهب معلقة في ظل العرش، فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم، وحسن مقيلهم، قالوا: ليت إخواننا يعلمون بما صنع الله لنا، لئلا يزهدوا في الجهاد ولا ينكلوا عن الحرب قال الله تعالى: أنا أبلغهم عنكم، فأنزل الله تعالى هذه الآية»[1] وهذا قول سعيد بن جبير، وأبي الضحى. والثاني: أنها نزلت في شهداء بدر لما أفضوا إلى كرامة الله عزّ وجلّ وقالوا: ربّنا أعلم إخواننا، فنزلت هذه الآية والتي بعدها، رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس، وهو قول مقاتل. والثالث: أنها نزلت في شهداء بئر معونة. روى محمد بن إسحاق عن أشياخ له، أنّ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم بعث المنذر بن عمرو في سبعين رجلاً من خيار المسلمين إلى أهل نجد، فلما نزلوا بئر معونة، خرّج حرام بن ملحان إلى عامر بن الطفيل بكتاب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، فلم ينظر فيه عامر، وخرج رجل من كسر البيت برمح، فضرب به في جنب حرام حتى خرج من الشق الآخر، فقال: الله أكبر، فزت ورب الكعبة، وقتل سائر أصحابه غير واحد منهم، قال أنس بن مالك: فأنزل الله تعالى فيهم: «بلغوا قومنا عنا أنا قد لقينا ربنا، فرضي عنا ورضينا عنه»[2] ثم رفعت، فنزلت هذه الآية: وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتاً. فهذا اختلاف الناس فيمن نزلت، واختلفوا في سبب نزولها على ثلاثة أقوال: أحدها: أن الشهداء بعد استشهادهم سألوا الله أن يخبر إخوانهم بمصيرهم، وقد ذكرناه عن ابن عباس. والثاني: أن رجلاً قال: يا ليتنا نعلم ما لقي إخواننا الذين استشهدوا، فنزلت، قاله مقاتل. والثالث: أن أولياء الشهداء كانوا إذا أصابتهم

---

[1] مسند الإمام أحمد، ومن مسند بني هشام، مسند عبد الله بن العباس، رقم2388.

[2] صحيح البخاري، كتاب الجهاد، باب فضل قول الله تعالى، ولا تحسبن الذين قتلوا ي سبيل الله أمواتا، رقم 2814.

نعمة أو سرور، تحسروا، وقالوا نحن في النعمة والسرور، وآباؤنا، وأبناؤنا، وإخواننا، في القبور، فنزلت هذه الآية، ذكره علي بن أحمد النيسابوري.[1]

قال أبو جعفر: يعني تعالى ذكره: "ولا تحسبن"، ولا تظنن... قوله: "الذين قتلوا في سبيل الله"، يعني: الذين قتلوا بأحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ="أمواتًا"، يقول: ولا تحسبنهم، يا محمد، أمواتًا، لا يحسُّون شيئًا، ولا يلتذُّون ولا يتنعمون، فإنهم أحياء عندي، متنعمون في رزقي، فرحون مسرورون بما آتيتهم من كرامتي وفضلي، وحبَوْتهم به من جزيل ثوابي وعطائي.[2] فالطبري رحمه الله لم يذكر الخلاف فيمن نزلت بل ذكر أنها نزلت في شهداء أحد.

ومثل هذه الآية قوله تعالى في سورة البقرة ﴿ وَلَا تَقُولُواْ لِمَن يُقۡتَلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتُۢۚ بَلۡ أَحۡيَآءٞ وَلَٰكِن لَّا تَشۡعُرُونَ ١٥٤ ﴾ البقرة: ١٥٤ {وَلَا تَقُولُواْ لِمَن يُقۡتَلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتُۢ} نزلت في قتلى بدر من المسلمين وكانوا أربعة عشر رجلا ستة من المهاجرين وثمانية من الأنصار كان الناس يقولون لمن يقتل في سبيل الله مات فلان وذهب عنه نعيم الدنيا ولذتها فأنزل الله تعالى: {وَلَا تَقُولُواْ لِمَن يُقۡتَلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتُۢۚ بَلۡ أَحۡيَآءٞ وَلَٰكِن لَّا تَشۡعُرُونَ} كما قال في شهداء أحد " وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتُۢاۚ بَلۡ أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ" (169-آل عمران) قال الحسن إن الشهداء أحياء عند الله تعالى تعرض أرزاقهم على أرواحهم فيصل إليهم الروح والفرح كما تعرض النار على أرواح آل فرعون غدوة وعشية فيصل إليهم الوجع.[3]

فالشهداء أعظم المؤمنين درجة في الجنة بعد الأنبياء فالجهاد في سبيل الله ذروة سنام الإسلام والشهادة في سبيل الله أعظم أنواع الشهادة وأعلاها درجة.

المطلب الثالث: مكاسب الصبر

فمن أعظم المكاسب التي يتواسى بها الإنسان المؤمن تذكيره بفضل الصبر ومكاسب الصابرون، فالصبر ثلاثة أقسام الصبر على طاعة التي وعلى مايكون فيها من مشقة وتعب وعلى

---

[1] ابن الجوزي، زاد المسير، المصدر سبق ذكره، 01، ص346.

[2] تفسير الطبري، المصدر سبق ذكره، ج07، 395.

[3] تفسير البغوي، المصدر سبق ذكره، ج01، ص168.

مجاهدة النفس الأمارة بالسوء، وكذلك الصبر على معصية بعدم فعلها ومخالفة الهوى والشيطان اللذان يدعوان المرء لفعل كل ما تشتهيه النفس من معاصي وآثام، وأخيرا الصبر على أقدار الله فالمؤمن مهما يصيبه من شر فعليه أن يصبر، فالمؤمن مع أقدار الله بين الصبر على النقم والشكر على النعم.

فالله عز وجل أخبر الصحابة وأمرهم بالصبر فقال **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿بَلَىٰٓ إِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأۡتُوكُم مِّن فَوۡرِهِمۡ هَٰذَا يُمۡدِدۡكُمۡ رَبُّكُم بِخَمۡسَةِ ءَالَٰفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ١٢٥﴾ آل عمران: ١٢٥

وبشارة أخرى لكم: إن تصبروا على لقاء العدو وتتقوا الله بفِعْل ما أمركم به واجتناب ما نهاكم عنه، ويأت كفار «مكة» على الفور مسرعين لقتالكم، يظنون أنهم يستأصلونكم، فإن الله يمدكم بخمسة آلاف من الملائكة مسوّمين أي: قد أعلموا أنفسهم وخيولهم بعلامات واضحات.[1]

فشرط الله لإمدادهم ثلاثة شروط: الصبر، والتقوى، وإتيان المشركين من فورهم هذا، فهذا الوعد بإنزال الملائكة المذكورين وإمدادهم بهم...[2]

فأخبر الله جل وعلا الصحابة رضوان الله عليهم أنهم إن إتصفوا بالصبر والتقوى ينالهم المدد من الملائكة فبين لهم فائدة الصبر ومكسب من مكاسب لهم وهو الإمداد بالملائكة.

وكذلك أخبرهم بحال الكفار معهم وفائد صبرهم على ما يلقونه منهم فقال **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿إِن تَمۡسَسۡكُمۡ حَسَنَةٞ تَسُؤۡهُمۡ وَإِن تُصِبۡكُمۡ سَيِّئَةٞ يَفۡرَحُواْ بِهَاۖ وَإِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمۡ كَيۡدُهُمۡ شَيۡـًٔاۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطٞ ١٢٠﴾ آل عمران: ١٢٠ ثم قال: {إِن تَمۡسَسۡكُمۡ حَسَنَةٞ تَسُؤۡهُمۡ وَإِن تُصِبۡكُمۡ سَيِّئَةٞ يَفۡرَحُواْ بِهَاۖ} وهذه الحال دالة على شدة العداوة منهم للمؤمنين وهو أنه إذا أصاب المؤمنين خصب، ونصر وتأييد، وكثروا وعز أنصارهم، ساء ذلك المنافقين، وإن أصاب المسلمين سنة -أي: جدب-أو أديل عليهم الأعداء، لما لله في ذلك من الحكمة، كما جرى يوم أحد، فرح المنافقون بذلك، قال الله تعالى مخاطبا عباده المؤمنين: {وَإِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمۡ كَيۡدُهُمۡ شَيۡـًٔاۗ} يرشدهم تعالى إلى السلامة من شر الأشرار وكيد الفجار، باستعمال الصبر والتقوى، والتوكل على الله الذي هو محيط بأعدائهم،

---

[1] التفسير الميسر، المصدر سبق ذكره، ص66.

[2] تفسير السعدي، المصدر سبق ذكره، ص146.

فلا حول ولا قوة لهم إلا به، وهو الذي ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن. ولا يقع في الوجود شيء إلا بتقديره ومشيئته، ومن توكل عليه كفاه.[1]

فبين الله عز وجل مكسب من مكاسب الصبر قال الشيخ عبد الرحمان السعدي رحمه الله: " فإذا أتيتم بالأسباب التي وعد الله عليها النصر – وهي الصبر والتقوى– لم يضركم مكرهم، بل يجعل الله مكرهم في نحورهم لأنه محيط بهم علمه وقدرته فلا منفذ لهم عن ذلك ولا يخفى عليهم منهم شيء."[2]

ثم قال جل وعلا مبينا مكانة الصبر فقال سبحانه ﴿ لَتُبْلَوُنَّ فِيٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ أَذًى كَثِيرًا ۚ وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٨٦﴾ ﴾ آل عمران: ١٨٦ يخبر تعالى ويخاطب المؤمنين أنهم سيبتلون في أموالهم من النفقات الواجبة والمستحبة، ومن التعريض لإتلافها في سبيل الله، وفي أنفسهم من التكليف بأعباء التكاليف الثقيلة على كثير من الناس، كالجهاد في سبيل الله، والتعرض فيه للتعب والقتل والأسر والجراح، وكالأمراض التي تصيبه في نفسه، أو فيمن يحب... وفي إخباره لعباده المؤمنين بذلك، عدة فوائد... ومنها: أنه أخبرهم بذلك لتتوطن نفوسهم على وقوع ذلك، والصبر عليه إذا وقع؛ لأنهم قد استعدوا لوقوعه، فيهون عليهم حمله، وتخف عليهم مؤنته، ويلجؤون إلى الصبر والتقوى، ولهذا قال: { وَإِن تَصْبِرُواْ } أي: إن تصبروا على ما نالكم في أموالكم وأنفسكم، من الابتلاء والامتحان وعلى أذية الظالمين، وتتقوا الله في ذلك الصبر بأن تنووا به وجه الله والتقرب إليه، ولم تتعدوا في صبركم الحد الشرعي من الصبر في موضع لا يحل لكم فيه الاحتمال، بل وظيفتكم فيه الانتقام من أعداء الله.{وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ } أي: من الأمور التي يعزم عليها، وينافس فيها، ولا يوفق لها إلا أهل العزائم والهمم العالية كما قال تعالى: ﴿ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾ .[3]

وفي ختام السورة أمرهم بالصبر وبكل ما يتعلق به فقال جل وعلا: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾ ﴾ آل عمران: ٢٠٠ ثم حض المؤمنين على ما يوصلهم إلى الفلاح – وهو: الفوز والسعادة والنجاح، وأن الطريق الموصل إلى ذلك لزوم

---

[1] تفسير ابن كثير، المصدر سبق ذكره، ج02، ص 108-109.

[2] تفسير السعدي، المصدر سبق ذكره، ص144.

[3] المصدر نفسه، ص160.

الصبر، الذي هو حبس النفس على ما تكرهه، من ترك المعاصي، ومن الصبر على المصائب، وعلى الأوامر الثقيلة على النفوس، فأمرهم بالصبر على جميع ذلك. والمصابرة أي الملازمة والاستمرار على ذلك، على الدوام، ومقاومة الأعداء في جميع الأحوال. والمرابطة: وهي لزوم المحل الذي يخاف من وصول العدو منه، وأن يراقبوا أعداءهم، ويمنعوهم من الوصول إلى مقاصدهم، لعلهم يفلحون: يفوزون بالمحبوب الديني والدنيوي والأخروي، وينجون من المكروه كذلك. فعلم من هذا أنه لا سبيل إلى الفلاح بدون الصبر والمصابرة والمرابطة المذكورات، فلم يفلح من أفلح إلا بها، ولم يفت أحدا الفلاح إلا بالإخلال بها أو ببعضها.[1]

وعلم عباده كيفية هذه الحرب والجهاد، فجمعها لهم في أربع كلمات فقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٢٠٠ ﴾ [سورة آل عمران: 200]. ولا يتم أمر هذا الجهاد إلا بهذه الأمور الأربعة، فلا يتم الصبر إلا بمصابرة العدو، وهو مقاومته ومنازلته، فإذا صابر عدوه احتاج إلى أمر آخر وهي المرابطة، وهي لزوم ثغر القلب وحراسته لئلا يدخل منه العدو، ولزوم ثغر العين والأذن واللسان والبطن واليد والرجل، فهذه الثغور يدخل منها العدو فيجوس خلال الديار ويفسد ما قدر عليه، فالمرابطة لزوم هذه الثغور، ولا يخلي مكانها فيصادف العدو الثغر خاليا فيدخل منه. فهؤلاء أصحاب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – خير الخلق بعد النبيين والمرسلين، وأعظمهم حماية وحراسة من الشيطان، وقد أخلوا المكان الذي أمروا بلزومه يوم أحد، فدخل منه العدو، فكان ما كان. وجماع هذه الثلاثة وعمودها الذي تقوم به هو تقوى الله تعالى، فلا ينفع الصبر ولا المصابرة ولا المرابطة إلا بالتقوى، ولا تقوم التقوى إلا على ساق الصبر.[2]

---

[1] تفسير السعدي، المصدر سبق ذكره، ص162.

[2] ابن قيم الجوزية، الداء والدواء، المصدر سبق ذكره، ص97.

الخاتمة

الخاتمة

وفي الختام بعد تمام البحث توصلنا على مجموعة من النتائج ومجموعة من الطرق التي واسى الله عباده المؤمنين في القرآن الكريم وهي كالتالي:

- ❖ مفهوم المواساة يدور حول التعزية، التسلية في المصيبة والكرب وكل ما يحزن، والعلاج والدواء الحسي والمعني، ويمكن اعتبارها هي كل ما يذهب الهم والحزن ويعالجه، وهي من الألفاظ التي لم ترد في القرآن الكريم.
- ❖ الإيمان قول باللسان وعمل بالقلب والجوارح يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية وله أركان وشعب والمؤمنون من اتصفوا بالإيمان.
- ❖ سورة آل عمران من السور المدينة وعدد آياتها مئتين آية نزلت في وفد نجران، وذكرت فضائل لآل عمران، وذكرت أشياء تتعلق بغزوة أحد.
- ❖ من الطرق التي واسى الله عباده المؤمنين ذكر مصائب بعض الأمم السابقة من المؤمنين فالمؤمن متى علم مصائب من هم على شاكلته خفت آلمه، وذكر لهم كيف تعاملوا مع مصائبهم ليقتدوا بهم، وبيان ما ناله الكفار للكفار.
- ❖ واسى القرآن الكريم عباد الله المؤمنين بمقارنة حال المؤمنين وحال الكفار، فقد نهي القرآن عن التشبه بالكفار في تعاملاتهم في المصائب، ثم بين لهم حال المؤمنين، وأخبرهم أن مانال المؤمنين قد نال الكفار مثله.
- ❖ ذكر المآل من الأمور التي واسى بها القرآن عباد الله المؤمنين، ابتداءا من أن مكاسب الكفار لن تفعهم يوم القيامة فالأموال والأولاد وباقي ما حصلوه في الدنيا لن يغني عنهم شيئا يوم القيامة، وبيان أن المآل للمؤمنين الجنة والنعيم والكفار مأواهم جهنم وبيس المصير، ومن قتل وهو مؤمن فالجنة مآله ومن قتل وهو كافر فالنار مآله.
- ❖ من بين الأمور التي واسى الله تعالى عباده المؤمنين الذين هم صحابة رسوله الكريم صل الله عليه وسلم عندما أصابهم ما أصابهم في غزوة أحد فذكرهم رضوان الله عليهم بالنعم التي أنعم الله عليهم قبل وبعض المصيبة زبين لهم سعة عفوه، فالنعم التي عندهم أعظم مما أصابهم في غزوة أحد.

- أرشد الله عز وجل الصحابة رضي الله عنهم أن لا يضعفوا على ما اصابهم ولا يحزنوا على فما فاتهم، وبين لهم الحكم من المصيبة التي أصابتهم المنطبقة على خلقه في مداولة الأيام والنصر بين خلقه، وتمحيص المنافقين الكافرين وليعلم المؤمنين الصادقين، واصطفاء الشهداء الأبرار، وكل هذا لأجل الابتلاء والاختبار.
- المصائب وإن كانت في عمومها سيئة إلا أنها فيها جانب مكسبي، فذكر الله جل وعلا بعض مكاسب اكتسبوها من خلال ما أصابهم في غزوة أحد، فبين لهم أسباب النصر وأنه لا يتعلق بالنبي صلى الله عليه وسلم، ومن أعظم المكاسب الشهادة في سبيل الله، ومن أعظم ما يعين على تخفيف الآلام في المصائب استحضار فضل الصبر ومكاسب الصابرين.

في الأخير وبعد استخراج مجموعة من طرق مواساة القرآن الكريم للصحابة رضي الله عنهم خصوصا وللمؤمنين عموما، وبقدر استحضار تلك الطرق وتطبيقها في المصائب يكون ذهاب الهموم والغموم. والحمد لله ربي العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين.

الفهارس

- فهرس الآيات
- فهرس الأحاديث
- فهرس الموضوعات

فهرس الآيات

الرقم	الآيـــــــــة	الصفحة
1	﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ ﴾ البقرة: ٤	12
2	﴿ فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ وَلَن تَفۡعَلُواْ ... ﴾ البقرة: ٢٤	37
3	﴿ رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ ... ﴾ البقرة: ١٢٩	12
4	﴿ وَلَا تَقُولُواْ لِمَن يُقۡتَلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتُۢ ... ﴾ البقرة: ١٥٤	67
5	﴿ أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ ... ﴾ البقرة: ٢١٤	17
6	﴿ مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقۡرِضُ ٱللَّهَ... ﴾ البقرة: ٢٤٥	12
7	﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ...﴾ آل عمران: ١٠	31 ،20
8	﴿ كَدَأۡبِ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ ... ﴾ آل عمران: ١١	20
9	﴿ قَدۡ كَانَ لَكُمۡ ءَايَةٞ ... ﴾ آل عمران: ١٣	19
10	﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ ...﴾ آل عمران: ١٤	34 ،13
11	﴿ قُلۡ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيۡرٖ مِّن ذَٰلِكُمۡۖ ... ﴾ آل عمران: ١٥	34
12	﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ ... ﴾ آل عمران: ٢٦	62
13	﴿ إِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ .... ﴾ آل عمران: ٥٥	13
14	﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَأُعَذِّبُهُمۡ عَذَابٗا شَدِيدٗا ... ﴾ آل عمران: ٥٦	36
15	﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ ... ﴾ آل عمران: ٨٩	50
16	﴿ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ.... ﴾ آل عمران: ١٠٣	43
17	﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ... ﴾ آل عمران: ١٠٥	23
18	﴿ يَوۡمَ تَبۡيَضُّ وُجُوهٞ وَتَسۡوَدُّ وُجُوهٞۚ ... ﴾ آل عمران: ١٠٦	37
19	﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبۡيَضَّتۡ وُجُوهُهُمۡ فَفِي رَحۡمَةِ ٱللَّهِۖ... ﴾ آل عمران: ١٠٧	37
20	﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ ... ﴾ آل عمران: ١٠٩	62
21	﴿ لَن يَضُرُّوكُمۡ إِلَّآ أَذٗىۖ ...﴾ آل عمران: ١١١	26
22	﴿ضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيۡنَ مَا ثُقِفُوٓاْ...﴾ آل عمران: ١١٢	24

23	﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ... ﴾ آل عمران: ١١٦	32
24	﴿ مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا ... ﴾ آل عمران: ١١٧	33
25	﴿ كَيۡدُهُمۡ شَيۡـٔٗاۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطٞ ..﴾ آل عمران: ١٢٠	68
26	﴿ وَلَقَدۡ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدۡرٖ وَأَنتُمۡ أَذِلَّةٞۖ ... ﴾ آل عمران: ١٢٣	44
27	﴿بَلَىٰٓۚ إِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ ... ﴾ آل عمران: ١٢٥	27،63،68
28	﴿ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشۡرَىٰ لَكُمۡ... ﴾ آل عمران: ١٢٦	27،62
29	﴿لَيۡسَ لَكَ مِنَ ٱلۡأَمۡرِ شَيۡءٌ ...﴾ آل عمران: ١٢٨	65
30	﴿ وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِيٓ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ﴾ آل عمران: ١٣١	39
31	﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ ...﴿١٣٣﴾ ﴾ آل عمران: ١٣٣	35،38
32	﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً ... ﴾ آل عمران: ١٣٥	35
33	﴿ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغۡفِرَةٞ مِّن رَّبِّهِمۡ ... ﴾ آل عمران: ١٣٦	36
34	﴿ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِكُمۡ سُنَنٞ .. ﴾ آل عمران: ١٣٧	15
35	﴿هَٰذَا بَيَانٞ لِّلنَّاسِ وَهُدٗى وَمَوۡعِظَةٞ لِّلۡمُتَّقِينَ﴾ آل عمران ١٣٨	16
36	﴿وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ ... ﴾ آل عمران: ١٣٩	28
37	﴿إِن يَمۡسَسۡكُمۡ قَرۡحٞ فَقَدۡ مَسَّ ٱلۡقَوۡمَ قَرۡحٞ مِّثۡلُهُۥۚ ... ﴾ آل عمران: ١٤٠	29،53،54 56
38	﴿وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَمۡحَقَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ..﴾آل عمران: ١٤١	52
39	﴿ أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ.. ﴾ آل عمران: ١٤٢	54
40	﴿ وَلَقَدۡ كُنتُمۡ تَمَنَّوۡنَ ...﴾ آل عمران: ١٤٣	54،58
41	﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٞ ... ﴾ آل عمران: ١٤٤	59،16
42	﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيّٖ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٞ.. ﴾ آل عمران: ١٤٦	18،16
43	﴿وَمَا كَانَ قَوۡلَهُمۡ إِلَّآ أَن قَالُواْ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا ...﴾ آل عمران: ١٤٧	18
44	﴿ سَنُلۡقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعۡبَ ...﴾ آل عمران: ١٥١	24
45	﴿ وَلَقَدۡ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥٓ ... ﴾ آل عمران: ١٥٢	26،48،60
46	﴿إِذۡ تُصۡعِدُونَ وَلَا تَلۡوُۥنَ عَلَىٰٓ أَحَدٖ...﴾آل عمران: ١٥٣	44

47	﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيۡكُم مِّنۢ بَعۡدِ ٱلۡغَمِّ أَمَنَةٗ...﴾ آل عمران: ١٥٤	46
48	﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوۡاْ مِنكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِ ... ﴾ آل عمران: ١٥٥	49
49	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ .... ﴾ آل عمران: ١٥٦	22،25
50	﴿ فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ .... ﴾ آل عمران: ١٥٩	49
51	﴿ لَقَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ... ﴾ آل عمران: ١٦٤	42
52	﴿ أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ ... ﴾ آل عمران: ١٦٥	19،29
53	﴿ وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتَۢاۚ ... ﴾ آل عمران: ١٦٩	66،40،67
54	﴿ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ ... ﴾ آل عمران: ١٧٠	40،66
55	﴿ يَسۡتَبۡشِرُونَ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ ... ﴾ آل عمران: ١٧١	41
56	﴿ لَّقَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ... ﴾ آل عمران: ١٨١	12
57	﴿ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ...﴾ آل عمران: ١٧٢	13،46
58	﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ...﴾ آل عمران: ١٧٣	46
59	﴿ فَٱنقَلَبُواْ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ لَّمۡ ... ﴾ آل عمران: ١٧٤	47
60	﴿ لَتُبۡلَوُنَّ فِيٓ أَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡ ...﴾ آل عمران: ١٨٦	61،69
61	﴿ لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي ٱلۡبِلَٰدِ ﴾ آل عمران: ١٩٦	31،38
62	﴿ مَتَٰعٞ قَلِيلٞ ثُمَّ مَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۚ وَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ﴾ آل عمران: ١٩٧	31،38
63	﴿لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ لَهُمۡ جَنَّٰتٞ ... ﴾ آل عمران: ١٩٨	38
64	﴿ وَإِنَّ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ ... ﴾ آل عمران: ١٩٩	12
65	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ ... ﴾ آل عمران: ٢٠٠	12،64،69 70
66	﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَ﴾ النساء: ١	13
67	﴿ وَلۡيَخۡشَ ٱلَّذِينَ لَوۡ تَرَكُواْ مِنۡ خَلۡفِهِمۡ ذُرِّيَّةٗ ضِعَٰفًا ... ﴾ النساء: ٩	13
68	﴿ مَّآ أَصَابَكَ مِنۡ حَسَنَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ ... ﴾ النساء: ٧٩	26،51
69	﴿ وَلَا تَهِنُواْ فِي ٱبۡتِغَآءِ ٱلۡقَوۡمِۖ ...﴾ النساء: ١٠٤	13،56
70	﴿ وَبِكُفۡرِهِمۡ وَقَوۡلِهِمۡ عَلَىٰ مَرۡيَمَ بُهۡتَٰنًا عَظِيمٗا ﴾ النساء: ١٥٦	13

71	﴿ يَـٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي ..﴾ النساء: ١٧١	13
72	﴿ لَّن يَسۡتَنكِفَ ٱلۡمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبۡدٗا لِّلَّهِ ...﴾ النساء: ١٧٢	13
73	﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ ...﴾ الأنعام:٨٢	07
74	﴿ وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ ... ﴾ الأعراف: ٤٤	39
75	﴿ وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖ ...﴾ الأعراف: ١٥٦	48
76	﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞ ...﴾ الأنفال: ٢٨	64
77	﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم ... ﴾ الأنفال: ٦٠	58
78	﴿ وَلَا تُعۡجِبۡكَ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَأَوۡلَٰدُهُمۡۚ ... ﴾ التوبة: ٨٥	31
79	﴿فَٱصۡبِرۡۖ إِنَّ ٱلۡعَٰقِبَةَ لِلۡمُتَّقِينَ ... ﴾ هود: ٤٩	21
80	﴿ لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِۗ ﴾ يوسف: ١١١	14،19،47
81	﴿ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٞ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ ...﴾ سورة الرعد: ١١	54
82	﴿ قَالَ وَمَن يَقۡنَطُ مِن رَّحۡمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ... ﴾ الحجر: ٥٦.	24
83	﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ.... ﴾ النحل: ١٨	42
84	﴿ ٱلۡمَالُ وَٱلۡبَنُونَ زِينَةُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ ... ﴾ الكهف: ٤٦	58
85	﴿ وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم مِّن قَرۡنٍ هُمۡ أَحۡسَنُ أَثَٰثٗا وَرِءۡيٗا ... ﴾ مريم: ٧٤	21
86	﴿ كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ مَا قَدۡ سَبَقَۚ... ﴾ طه: ٩٩	14
87	﴿ كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۗ ... ﴾ الأنبياء: ٣٥	57
88	﴿ إِنَّكُمۡ وَمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ... ﴾ الأنبياء: ٩٨	32
89	﴿ فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ ... ﴾ السجدة: ١٧	39
90	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوۡاْ مُوسَىٰ ... ﴾ الأحزاب: ٦٩	23
91	﴿ وَقَالُواْ نَحۡنُ أَكۡثَرُ أَمۡوَٰلٗا وَأَوۡلَٰدٗا وَمَا نَحۡنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴾ سبأ: ٣٥	20
92	﴿ وَمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُم بِٱلَّتِي تُقَرِّبُكُمۡ عِندَنَا زُلۡفَىٰٓ ... ﴾ سبأ: ٣٨	20
93	﴿ وَبَدَا لَهُمۡ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُواْ ... ﴾الزمر: ٤٨	20
94	﴿قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ ... ﴾ الزمر: ٥٣	48

95	﴿ يَوۡمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعۡذِرَتُهُمۡ ... ﴾ غافر: ٥٢	31
96	﴿ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ... ﴾فصلت: ٣٥	69
97	﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ ﴾ الشورى: ٣٠	51
98	﴿ يَقُولُونَ بِأَلۡسِنَتِهِم مَّا لَيۡسَ فِي قُلُوبِهِمۡ﴾ الفتح: ١١	07
99	﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ ... ﴾ الحشر: ١٩	23
100	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ١٠ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ .... ١١ يَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡ وَيُدۡخِلۡكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ... ١٢ وَأُخۡرَىٰ تُحِبُّونَهَاۖ نَصۡرٞ مِّنَ ٱللَّهِ ... ١٣ ﴾ الصف: ١٠ – ١٣	41
101	﴿ أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴾ الفجر: ٦	21
102	﴿ وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُواْ ٱلصَّخۡرَ بِٱلۡوَادِ ﴾ الفجر: ٩	21

فهرس الأحاديث

الرقم	طرف الحديث	الراوي	الصفحة
1	أن تؤمن بالله، وملائكته	عمر بن الخطاب	08
2	الإيمان بضع وسبعون –أو بضع وستون– شعبة	أبو هريرة	07
3	تعلموا سورة البقرة	بريدة بن الحصيب	09
4	خَالِفُوا الْمُشْرِكِينَ أَحْفُوا الشَّوَارِبَ	عبد الله بن عمر	23
5	خالِفُوا اليهودَ فإنَّهم لا يُصَلُّون في نِعالِهم	شداد بن أوس	23
6	قال الله عز وجل: أعددت لعبادي الصالحين	أبو هريرة	39
7	يؤتى بالقرآن	النواس بن سمعان	09
8	المؤمن القوي	أبو هريرة	65
9	ناركم هذه التي يوقد ابن آدم	أبو هريرة	37
10	يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام	عبد الله بن مسعود	37

قائمة المصادر والمراجع

1. القرآن الكريم –رواية حفص عن عاصم-.
2. أبو داود سليمان السِّجِسْتاني (ت: 275هـ)، سنن أبي داود، ت: شعَيب الأرنؤوط - مَحَمَّد كامِل قره بللي، دار الرسالة العالمية، ط: 01، 1430 هـ - 2009 م.
3. أحمد بن حنبل (ت: 241هـ)، مسند الإمام أحمد، ت شعيب الأرناؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط: 01، 1421 هـ - 2001 م.
4. إسماعيل ابن عمر ابن كثير (ت: 774هـ)، تفسير القرآن العظيم، ت: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة، ط: 02، 1420هـ - 1999 م.
5. إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت: 393هـ)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ت: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين – بيروت، ط: 04، 1407 هـ - 1987 م.
6. تقي الدين أحمد ابن تيمية (ت: 728هـ)، مجموع الفتاوي، ت: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، د ط، 1416هـ- 1995م.
7. جلال الدين السيوطي (ت: 911هـ)، أسرار ترتيب القرآن، دار الفضيلة، د ط.
8. جلال الدين المحلي (ت: 864هـ) وجلال الدين السيوطي (ت: 911هـ)، تفسير الجلالين، دار الحديث – القاهرة، ط01.
9. جمال الدين ابن منظور الأنصاري (ت: 711هـ)، لسان العرب، دار صادر – بيروت -، ط:03، 1414هـ.
10. جمال الدين أبو الفرج الجوزي (ت: 597هـ)، زاد المسير في علم التفسير، ت: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي – بيروت، ط:01، 1422 هـ.
11. الحسين بن مسعود البغوي (ت: 510هـ)، معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي، ت وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر - عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم الحرش، دار طيبة، ط: 04، 1417 هـ - 1997 م.
12. الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت:170هـ)، كتاب العين، ت: د مهدي المخزومي ود إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، د ط.

13. د أحمد مختار عبد الحميد عمر (ت: 1424هـ)، بمساعدة فريق عمل، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، ط:01، 1429 هـ - 2008 م.
14. شمس الدين ابن القيم الجوزية (ت: 751هـ)، زاد المعاد في هدي خير العباد، مؤسسة الرسالة، بيروت - مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، ط: 27، 1415هـ /1994م
15. شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت: 751هـ)، الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي أو الداء والدواء، دار المعرفة – المغرب، ط: 01، 1418هـ - 1997م.
16. شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت: 751هـ)، تفسير القرآن الكريم (ابن القيم)، ت: مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية بإشراف الشيخ إبراهيم رمضان، دار ومكتبة الهلال – بيروت، ط: 01، 1410 هـ.
17. شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت: 751هـ)، مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية المعطلة، ت: رضوان جامع رضوان، دار الفكر – بيروت-، د ط، 1418هـ.
18. شمس الدين القرطبي (ت: 671هـ)، تفسير القرطبي الجامع لأحكام القرآن، ت: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، ط: 02، 1384هـ - 1964 م.
19. شهاب الدين الألوسي (ت: 1270هـ)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ت: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية - بيروت-، ط: 01 ، 1415 هـ.
20. صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان، شرح الأصول الثلاثة، مؤسسة الرسالة، ط: 01، 1427 هـ - 2006م.
21. صالح بن محمد العثيمين (ت: 1421هـ)، تفسير القرآن الكريم =تفسير ابن العثيمين سورة آل عمران، دار ابن الجوزي، ط01، 1433هـ.
22. الطاهر بن عاشور (ت1393هـ)، التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، الدار التونسية للنشر – تونس، د ط، 1984 هـ.
23. عبد الرحمن بن ناصر السعدي (ت: 1376هـ)، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان=تفسير السعدي، ت عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط: 01، 1420هـ -2000 م.
24. عبد الله الشوكاني (ت: 1250هـ)، فتح القدير، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، دمشق- بيروت-، ط: 01، 1414 هـ.

25. عبد الله بن عباس – رضي الله عنهما – (المتوفى: 68هـ)، تنوير المقباس من تفسير ابن عباس، جمعه: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (المتوفى: 817هـ)، دار الكتب العلمية – لبنان–، د ط.
26. عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي (ت: 255هـ)، مسند الدارمي المعروف بـ (سنن الدارمي)، ت: حسين سليم أسد الداراني، م دار المغني للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ط: 01، 1412 هـ - 2000.
27. مجد الدين محمد الفيروز آبادى (ت: 817هـ)، القاموس المحيط، ت: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، – بيروت – لبنان –، ط: 08، 1426 هـ - 2005 م.
28. محمد أمين الشنقيطي (ت: 1393هـ)، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، دار الفكر، بيروت – لبنان، د ط، 1415 هـ - 1995 مـ.
29. محمد بن إسماعيل البخاري (ت: 256هـ)، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري، ت: محمد زهير بن ناصر، دار طوق النجاة، ط: 01، 1422هـ.
30. محمد بن جرير الطبري (ت: 310هـ)، جامع البيان في تأويل القرآن، ت: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط: 01، 1420 هـ - 2000 م.
31. محمد رشيد رضا(ت: 1354هـ)، تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د ط، 1990 م.
32. محمد صديق خان (ت: 1307هـ)، فتحُ البيان في مقاصد القرآن، المكتبة العصريَّة، صَيدَا – بَيروت، د ط، 1412 هـ - 1992 م.
33. مسلم بن الحجاج النيسابوري (ت261هـ)، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم = صحيح مسلم، ت محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت–، د ط.
34. مقاتل بن سليمان بن بشير (ت: 150هـ)، تفسير مقاتل بن سليمان، ت:عبد الله محمود شحاته، دار إحياء التراث – بيروت، ط: الأولى - 1423 هـ.
35. نخبة من أساتذة التفسير، التفسير الميسر، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف – السعودية– ، ط: 02، 1430هـ - 2009 م.

فهرس الموضوعات

الاهداء، شكر وتقدير

المقدمة 1

خطة البحث: 3

الفصل التمهيدي: ضبط المصطلحات

المبحث الأول: تعريف المواساة والمؤمنين..... 5

المطلب الأول: تعريف المواساة 5

الفرع الأول: تعريف المواساة لغة..... 5

الفرع الثاني: تعريف المواساة اصطلاحا 5

المطلب الثاني: تعريف المؤمنين..... 6

الفرع الأول: تعريف الإيمان لغة اصلاحا..... 6

الفرع الثاني: تعريف المؤمنين 7

المبحث الثاني: التعريف بسورة آل عمران..... 8

المطلب الأول: تسميتها ووجه ذلك وفضل السورة 8

الفرع الأول: تسميتها ووجه ذلك..... 8

الفرع الثاني: فضل السورة..... 9

المطلب الثاني: سبب ومكان نزول السورة وموضوعها 9

الفرع الأول: سبب ومكان نزول السورة..... 9

الفرع الثاني: موضوع السورة..... 10

المطلب الثالث: مناسبة السورة لما قبلها وما بعدها 11
الفرع الأول: مناسبة السورة لما قبها 11
الفرع الثاني: مناسبة السورة لما بعددها 12

الفصل الأول: المواساة بمقارنة المؤمنين بالكفار في الدنيا والآخرة

المبحث الأول: مقارنة حال المؤمنين والكفار السابقين 14
المطلب الأول: ذكر حال المؤمنين السابقين (الإخبار عن مصائب المؤمنين) 14
المطلب الثاني: بيان تعامل السابقين مع المصائب 18
المطلب الثالث: الإخبار عما حصل للكفار السابقين 20
المبحث الثاني: المواساة بمقارنة حال المؤمنين والكفار 22
المطلب الأول: بيان الحال الكفار والنهي عن التشبه بهم 22
المطلب الثاني: بيان حال المؤمنين 26
المطلب الثالث: مصاب المؤمنون قد أصاب الكفار 29
المبحث الثالث: المواساة بمقارنة بالمآل للمؤمنين والكفار 31
المطلب الأول: مكاسب الكفار لا تنفع يوم القيامة 31
المطلب الثاني: التذكير بالمآل 34
المطلب الثالث: قتلى المؤمنين في الجنة وقتلى الكفار في النار 40

الفصل الثاني: التذكير بالنعم وبيان المكاسب والحكم

المبحث الأول: التذكير بالنعم 42
المطلب الأول: التذكير بالنعم قبل المصيبة 42
المطلب الثاني: التذكير بالنعم بعد المصيبة 44
المطلب الثالث: بيان سعة عفو الله ومغفرته 48

المبحث الثاني: بيان الحكم من المصيبة..... 51
المطلب الأول: تمحيص المنافقين..... 52
المطلب الثاني: الاستشهاد 53
المطلب الثالث: المداولة 55
المطلب الرابع: الابتلاء والاختبار..... 57
المبحث الثالث: ذكر المكتسبات..... 62
المطلب الأول: بيان أسباب النصر 62
المطلب الثاني: الشهداء في الجنة 66
المطلب الثالث: مكاسب الصبر..... 67
الخاتمة 71

الفهارس

فهرس الآيات..... 73
فهرس الأحاديث..... 77
قائمة المصادر والمراجع 87
فهرس الموضوعات..... 81
ملخص البحث..... 84

ملخص البحث

إن الله عز وجل أنزل هذا القرآن عناية بعباده المؤمنين ولهدايتهم إلى الطريق المستقيم، فهو إبتداءا كان عناية لسيد المؤمنين وإمام المتقين الرسول الكريم صلواة الله عليه وأتم التسليم، وكذلك عناية بصاحبته الكرام رضوان الله عليهم، وقد تعدد صور عناية القرآن الكريم بالمؤمنين ومن بين الصورة المواساة في المصائب والكرب. ومن خلال هذه الرسالة التي هي بعنوان: مواساة القرآن لعباد الله المؤمنين —سورة آل عمران نموذجا– ، سنجيب على السؤال التالي: ماهي طرق مواساة القرآن لعباد الله المؤمنين في سورة آل عمران؟ أو بالأحرى القول كيف واسى القرآن الكريم الصحابة رضوان الله عليهم لما أصابهم ما أصابهم في غزوة أحد؟

وفي النهاية توصلنا إلى ملخص من خلاله نذكر طرق مواساة القرآن الكريم لعباد الله المؤمنين من خلال سورة آل عمران. فالقرآن واسى عباد الله المؤمنين ببيان حالهم وحال عدوهم في هذه الدنيا، وبين لهم حال من سبقهم من الأمم وأن الغلبة في النهاية للمؤمنين الصادقين، وكما نهاهم عن التشبه بالكافرين الظالمين، وأيضا بين لهم مآل الفريقين في الآخرة، فهذه الدنيا لا شيء مقارنة بالآخرة، فالإنسان مهما يحصل في هذه الدنيا لن ينفعه إن لم يكن مؤمنا، فمآل العبد المؤمن في الجنة والكفار في النار. ومن طرق المواساة أيضا تذكر نعم الله على العبد ويقارن بين النعم التي أنعم الله عليه والمصيبة التي أصابته، ويحاول قدر الإمكان استحضار الحكم من المصيبة فهي إبتداءا اختبار وابتلاء، وكذلك ينظر من الجانب الآخر الجانب المشرق فمها كانت المصيبة إلا ولها مكسب وفائدة فأبسطها معرفة قيمة النعم الحاضرة قبل ذهابها. فهذه صورة من صورة عناية القرآن بعباد الله المؤمنين يجب على الإنسان استحضارها حال مصيبته حتى لا تصيبه الهموم والغموم، فالحمد لله على نعمة الإيمان والحمد لله على نعمة القرآن.

الكلمات المفتاحية: المواساة، القرآن الكريم، مواساة القرآن، المؤمنين، عباد الله، عباد الله المؤمنين.

Research Summary

Allah Almighty revealed this Qur'an to take care of His faithful worshipers of Aallah and to guide them to the straight path, start off, it was to take care of the master of believers and religious's imam the Noble Messenger, may allah's prayers and peace be upon him, as well as care for his honorable companion(sahaba), may allah be pleased with them. There are many images of the holy Quran's care for the believers, among the images are sympathy in misfortunes and anguish. Through this thesis entitled: The Quran's consolation for the faithful servants of allah - Surat Al Imran as a model-, we will answer the following question: What are the ways of the Qur'an's sympathy for the faithful servants of allah in Surat Al Imran? Rather, how did the Holy Qur'an console the Companions(sahaba), may allah be pleased with them, when they suffered what happened to them during the Battle of Uhud?

In the end, we reached a summary in which we mention the ways of consoling the Holy Qur'an to the faithful servants of Allah through Surat Al Imran. The Qur'an comforted the faithful servants of Allah by explaining their condition and the condition of their enemy in this life (donia), and explained to them the condition of those who preceded them from among the nations and that victory in the end will be for the true believers. It also forbade them to imitate the unbelievers. Also to clear them the fate of the two parties in the hereafter, and this life is nothing comparing to the hereafter. This world will not benefit the person if he is not a believer, so the fate of the believing worshipers of Aallah is in Paradise and the unbelievers are in the hell. Among the ways of consolation is also mentioning the blessings of Allah on his servant and comparing the blessings that Allah has bestowed upon him and the misfortune that befell him, and trying as much as possible to evoke the wisdoms of the calamity, as it is the beginning of a test and a ordeal, and also looking from the other side the bright side, so it was the disaster except that it has a gain and benefit, the simplest of which is knowing the value of blessings present before it goes. This is an image of the Qur'an's care for the faithful servants of Allah, which a person must bring to his attention in the event of his calamity so as not to be affected by worries and anguish. Praise be to Allah for the blessing of faith, and praise be to him for the blessing of the Qur'an.

Keywords: consolation, the Noble Qur'an, consolation of the Qur'an, believers, servants of Allah, faithful servants of Allah